الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

المركز الجامعي علي كافي

قسم اللغة والادب العربي

مذكّرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر في اللغة العربية وآدابها

الرقم : .....

توظيف التراث الشعبي في ثلاثية محمد ديب

دراسة جمالية

التّخصّص: أدب جزائري

إعداد الطالبة: بإشراف الدكتور:

ـ مهري نفيسة حمدينة عبد الله

أعضاء لجنة المناقشة:

الاسم ولقب الأستاذ (ة)	مؤسسة العمل	الصفة
أ د. شيبان رشيد	المركز الجامعي ـ علي كافي	رئيـــــسا
د. حمدينة عبدالله	المركز الجامعي ـ علي كافي	مشرفا و مقّررا
د. لاطرش عبد الله	المركز الجامعي ـ علي كافي	مناقشا

العام الجامعي: 1441هـ-1442هـ /2020م- 2021م

شكر وعرفان

قال تعالى: "يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير" المجادلة الآية (11)

أولا وقبل كل شيء نسجد شاكرين لله سبحانه وتعالى على توفيقه في بحثي هذا

وأتقدم بالشكر الجزيل إلى كل من أمد لي العون والمساعدة من قريب أو من بعيد واخص بالذكر الدكتور المشرف: حمدينة عبدالله الذي شرفني برعايته لإتمام هذا البحث ، فلقد وجدت فيه أستاذا قديرا، لم يبخل على طوال مدة إنجازي للبحث بتوجيهاته القيمة ، فله مني كل العرفان والتقدير والامتنان متمنية من المولى عز وجل أن ينير دربه و يسدد خطاه.

كما أشكر اللجنة الكريمة المتكونة من الأستاذ الدكتور رشيد شيبان والدكتور لاطرش عبد الله اللذان تفضلا عليا مشكورين لمناقشة هذه المذكرة .

إهداء

أهدي ثمرة جهدي وخاتمة مشواري إلى من

أجمل اسمه بكل افتخار وعلمني العطاء دون انتظار ،

إلى من ينبض القلب بحبه أبي رحمة الله عليه، وأهدي كذلك عملي هذا

إلى أمي أطال الله في عمرها و إلى زوجي الذي كان بمثابة سند خلال دراستي في الماستر

إلى من ساندوني طول مشواري الدراسي، إخوتي

وأخواتي وإلى أصدقائي: من قريب أو من بعيد كما لا أنسى كل أساتذة قسم اللغة العربية و آدابها

وإلى كل من أعانني ولو بكلمة طيبة

** مصري نفيسة **

مقدمـــــة

تعتبر العودة إلى التراث هي السمة البارزة التي ميزت الأعمال الروائية الفنية الجزائرية ، ويعتبر التراث الشعبي من مكونات ثقافة الشعب ، سواء أكانت متخلفة أم متطورة ، فالتراث جزء أساسي لا يتجزأ من كيان الأمة، ومقوّم هام من مقومات الشخصية العربية ، بل هو رمز أصالة الأمة وعنوان سيادتها ، ولقد أثارت قضية التراث في الواقع الثقافي العربي جدلا واسعا في أوساط المفكرين والمثقفين والفلاسفة ، وتعددت تبعا لذلك المواقف والآراء حول وظيفة التراث ، ومدى انعكاس تلك الوظيفة في الحياة المعاصرة ، كما أخذ الأديب يستثمر التراث في كثير من الأعمال الأدبية المختلفة، رغبة في إنتاج تجارب فنية متميزة ، ولقد أضحى استلهام التراث وتوظيفه في الرواية العربية أحد التيارات الأساسية لعملية التجريب وبنائها الفني .

وتوظيف الموروث في الرواية الجزائرية ذو أهمية كبيرة لأنه يتعلق بماضي هذه الأمة ، ودراسته تهدف إلى إيجاد معنى التواصل بين الماضي والحاضر ، وإضفاء روح القداسة على الماضي الجميل الذي تفتخر به .

أخذ الاهتمام ينصب على الدراسات الشعبية ، بعد أن أدرك الأدباء أن هذا الميدان ليس مجرد مجال ضيق يرتبط بفئة معينة ، وينحصر في عاداتها وتقاليدها فحسب، وإنما هو المرآة الصافية التي تعكس بصدق وإخلاص حقيقة تفكير الشعب.

واكبت الرواية في الجزائر كل التطورات التي مرت بها، وعلى هذا الأساس ستكون الدراسة بمثابة إجابة على سؤال انبثت عليها الإشكالية المطروحة في البحث: **لماذا لجأ الروائي في عمله الإبداعي إلى توظيف التراث؟ وكيف استلهم هذه العناصر التراثية في روايته ؟ وكيف تتجلى ؟**

إن دراسة موضوع توظيف التراث في الرواية الجزائرية ، قد تطرق إليه كتاب جزائريون ، نذكر منهم : مولود فرعون– الطاهر وطار– آسيا جبّار– عبد الحميد بن هدوقة– رشيد بوجدرة وغيرهم من الكتاب لا يمكن حصرهم في هذه الدراسة دون أن ننسى الكاتب الجزائري محمد ديب في ثلاثيته : الدار الكبيرة–الحريق، النول والتي تعتبر موضوع الدراسة ، ولعل سبب اختيار موضوع بحثي **توظيف التراث في ثلاثية محمد ديب** يعود إلى دافعين : أولهما يرجع إلى مدى التمسك بالهوية تحديدا، والثاني بروز ظاهرة توظيف التراث شكلا ومضمونا في رواياته .

تم تقسيم الدراسة إلى مقدمة وفصلين وخاتمة و ثبت بقائمة من المصادر و المراجع المعتمدة عليها في الدراسة ثم فهرس المحتويات على النحو التالي :

- **الفصل الأول** : عنون ب "التراث الشعبي في الرواية الجزائرية" وفيه تناولت مفهوم التراث و عناصره و خصائصه ومفهوم الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية و تاريخ ظهورها و أبرز أعلامها و كيفية توظيف التراث في الرواية و دوافعه.
- **أما الفصل الثاني** : بعنوان توظيف التراث في ثلاثية محمد ديب وفيه ملخص لرواية الدار الكبيرة والحريق والنول، ثم تطرقت إلى تجلى التراث في الثلاثية .
- **خاتمة** : تضم أبرز النتائج التي توصلت إليها الدراسة وأخيرا قائمة المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها في البحث ، ثم فهرس الموضوعات .

اقتضت طبيعة الموضوع ، استخدام المنهج الموضوعاتي بالتحليل الايجرائي الوصفي ، لأن دراسة التراث تتضمن هذا النوع من المنهج واعتمدت على مصادر ومراجع مختلفة ، ومن أهمها التي كان لها فضل كبير في إنجاز بحثي ، نذكر على الخصوص :

1- طلال معلا ، التراث الثقافي غير المادي ، تراث الشعوب الحي

2- بلحيا الطاهر، التراث الشعبي في الرواية الجزائرية

وكأي بحث أكاديمي لم يخل من بعض الصعوبات والعراقيل التي واجهتني في إنجاز المذكرة من أبرزها قلة المصادر والمراجع الموجودة في مكتبتنا .

وأخيرا وقبل أن أختم البحث أرى من واجبي أن نسدي الشكر الجزيل لكل من ساعدني في هذا البحث ، كما أعترف بجميل الأستاذ المشرف الدكتور حمدينة عبد الله الذي تكرم علي بعمله ووقته طيلة مدة إشرافه على البحث .

ولا يسعنا في الختام إلا أن نسأل المولى عز وجل أن أكون قد وفقت في عملي هذا من خلال هذه الدراسة أو بالجزء اليسير والله ولي التوفيق .

تندوف في :26 ماي 2021م الموافق ل14 شوال 1442 هـ

الطالبة : مهري نفيسة

التوقيع :

الفصل الأول

الفصل الأول :التراث الشعبي في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية

المبحث الأول: مقاربات في مفهوم التراث الشعبي عناصره و خصائصه

تمهيد

1- مفهوم التراث الشعبي: لغة – اصطلاحا

2 -عناصر التراث الشعبي: المادي و المعنوي

3- خصائص التراث الشعبي

المبحث الثاني : الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية

تمهيد

1-مفهوم الرواية لغة – اصطلاحا

2-تاريخ ظهور الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية

3- أبرز أعلام الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية

4- توظيف التراث الشعبي في الرواية الجزائرية

5- دوافع التوظيف التراث الشعبي في الرواية الجزائرية

تـمهيـد

أثارت قضية التراث في الواقع الثقافي العربي ، جدلا واسعا في أوساط المفكرين و المثقفين و الفلاسفة ، و تعددت تبعا لذلك المواقف و الآراء حول مفهوم التراث ، و مدى انعكاسه من طرف الباحثين و الدارسين على الحياة المعاصرة ،كونه يعتبر من أهم المواد الأساسية التي حظيت باهتمام كبير فهو يشمل موروث أمة من أفعال و عادات و تقاليد ، و فنون و سلوك ، و كل ما يتعلق بتجارب الشعوب ، فهو إذا نابع من روح الجماعة ، وقد أضحى استلهام التراث و توظيفه أحد التيارات الأساسية لعملية التجريب الفني في الرواية العربية بصفة عامة و الجزائرية خاصة ، وهذا ما يدفعنا إلى البحث عن حقيقته، وهنا نتساءل ما مفهوم التراث ؟

و للإجابة عن هذا التساؤل لابد من التطرق إلى مفهومه اللغوي و الاصطلاحي.

المبحث الأول: مقاربات في مفهوم التراث الشعبي عناصره و خصائصه

1- مفهوم التراث الشعبي

1-1 لغة: ورد في لسان العرب لابن منظور أن التراث مشتق من مادة ورث : " الوارث صفة من صفات الله عز و جل ، الباقي الدائم الذي يرث الخلائق و يبقى بعد فنائهم ، والله عز وجل يرث الأرض و من عليها ، وهو خير الوارثين ، أي يبقى بعد فناء الكل "[1].

كما ذكر ابن منظور في موضع أخر للتراث أنه يقال: " ورثت فلانا مالا أرثه ورثا وورثا... وورثت في ماله: أدخل فيه من ليس من أهل الوراثة "[2]

فمعاني هذه المفردات تشير إلى ما يكسبه الإنسان من نصيب مادي أو معنوي باعتباره ميراثا بتركة سابقوه المقربون عن طريق صلة القرابة بينهم .

و في القاموس المحيط ، تفيد كلمة ورث أباه بكسر الراء : " أي أورثه أبوه وورثه جعله من ورثته ، والوارث الباقي بعد فناء الخلق ، وفي الدعاء أمتعني بسمعي و بصري و أجعله الوارث مني أي أبقه معي حتى أموت " [3]

كما وردت لفظة التراث في القرآن الكريم بنفس المعنى الذي أشارت إليه المعاجم إي المال لقوله تعالى " وتأكلون التراث أكلا لما " [4]

فلقد كان الناس في الجاهلية يأكلون ميراث الميت أكلا شديدا ، مسرفين في إنفاقه ولم يكونوا يسألون أحلال أم حرام ؟ لقد تجاوزت كلمة ميراث في القرآن الكريم المعنى المادي لتشير إلى أمور معنوية أخرى كما ورد في قوله تعالى في دعاء زكريا عليه السلام " فهب لي من لدنك وليا يرثني ويرث من أل يعقوب " [5].

---

1 ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي لسان العرب، ج2 دار صادر بيروت ط1 سنة 1997، ص 4224 .

2 ابن منظور، لسان العرب، ص 4224

3 مجد الدين محمد بن يعقوب بن محمد بن براهيم الفيروز بادي الشيرازي الشافعي ، القاموس المحيط، جريدة لوتان ، ج1 مادة التاء منشورات محمد بن بيضون ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ، سنة 1999م-1420هـ ص 239.

4 سورة الفجر الآية 19.

5 سورة مريم الآية 5-6 .

أي يبقى بعدي فيصير له ميراثي والمقصود هنا النبوة و قوله أيضا : " ورث سليمان داوود ...[1]

هنا أيضا دلالة على انتقال الأمر إلى من ورثه عن الأصل ، أي سليمان ورث النبوة من أبيه.

و إذا بحثنا قليلا في تراثنا الشعري نجد أن كلمة تراث وردت في العصر الجاهلي في معلقة ابن كلثوم حيث يقول :

" ورثنا المجد علقمة بن سيف أباح لنا عصور المجد دينا

ورثت مهلهلا و الخير منه زهيرا نعم ذخر الذاخرين

و عتابا وكلثوما جميعا بهم نلنا تراث الأكرمين" [2]

ويقصد ابن كلثوم في هذه الأبيات أنه أخذ عن أسلافه المآثر و الشرف والعزة و الكرامة فإنه قد نال تراث الأكرمين .

نستنتج من كل ما سبق أن القرآن الكريم و المعاجم اتفقوا على تعريف واحد للتراث هو انتقال شيء ما من السلف إلى الخلف كأنه يكون ماديا كالمال و الجاه و السلطان ، أو معنويا كالعلم و الأخلاق و النبوة....

2-1 اصطلاحا: يتفق الباحثون على أن التراث ينتمي إلى الزمن الماضي ، فإنهم اختلفوا حول تحديد الفترة الزمنية التي ينتمي إليها أفي الماضي البعيد أو داخل الحضارة السائدة ، و يعرف محمد عابد الجابري على أنه : " الجانب الفكري في الحضارة العربية الإسلامية ،العقيدة و الشريعة ، اللغة و الأدب ، الفن و الكلام ، الفلسفة و التصوف " [3].

1 سورة النمل الآية 16.

2 عبد الله بن أحمد الزوزني ، شرح المعلقات السبع ، تحقيق محمد الفاضلي ، المكتبة العصرية بيروت ، ط 1 ، 1998 ص 186

3 محمد عابد الجابري ، التراث و الحداثة ، دراسات و مناقشات ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ط1 1991 ص 45.

و قدم الدكتور جبور عبد النور تعريف أشمل و أوسع فيقول " هو ما تراكم خلال الأزمنة من تقاليد و عادات و تجارب و خبرات وفنون و علوم في شعب من الشعوب ، و هو جزء أساسي من قوامه الاجتماعي، و الإنساني و السياسي و التاريخي يوثق علائقه بالأجيال الغابرة التي عملت على تكوين هذا التراث " [1]

فالتراث ليس ماضيا فحسب ، بل امتلك ميزة أخرى مكنته من الاستمرارية في الحاضر فهو على حد قول حسين مروة " كائن حي متحرك بصيرورة دائمة ، هي صيرورة الحياة الواقعية التي ينبثق منها و يحيا فيها ، و معها ، و هي بدورها تحيا فيه و معه ، و لكن بشكل أخر و ربما كان شكلها الأرقى ، و ربما كان شكلها الرافض لها ، و ربما كان تعبيرا عن صراعها مع نفسها " [2].

أما سعد يقطين فيوسع مجال التراث و يربطه ب : "هو كل ما خلفه لنا العرب و المسلمون من جهة و يتحدد زمانيا بكل ما خلفوه لنا قبل النهضة من جهة ثانية "[3].

فالتراث بصفة عامة هو كل ما خلفه السلف للخلف من مادي أو معنوي. و نجد تعريف أخر لإسماعيل سيد علي حيث يقول :" التراث ذلك المخزون الثقافي المتنوع و المتوارث من قبل الآباء و الأجداد، و المشتمل على القيم الدينية و لتاريخية ، والحضارة الشعبية بما فيها من عادات و تقاليد ، سواء كانت هذه القيم مدونة في كتب التراث أو مبثوثة بين سطورها، أو متوازنة أو مكتسبة بمرور الزمن " [4]

فالتراث واسع لا يمكن حصره في تعريف واحد ، لذلك تعددت تعريفاته و اختلفت إلا أن مضمونها واحد و هو أن الحاضر مقترن بالماضي ، إذ لا يمكن الحديث عن أمة ما دون الرجوع إلى قرائها ، فالتراث يتضمن كل ما هو حي و نابض و متفاعل مع الذات الإنسانية.

1 جبور عبد النور ، المعجم الأدبي دار العلم للملايين بيروت ط1 ، 1989 ، ص 63

2 حسين مروة دراسات في المنهج الواقعي ، مؤسسة الأبحاث العربية بيروت ، دط ،دت ، ص 464

3 سعد يقطين ، الكلام و الخبر ، مقدمة السرد العربي ، الدار البيضاء بيروت ، ط1 1997 ص 47

4 حكيمة موسود ، أبعاد توظيف التراث في الرواية الجزائرية ، رواية الرعشة لأمين زاوي نموذجا ، رسالة ماستر أكاديمي في الأدب العربي ، تخصص أدب جزائري ، جامعة محمد بوضياف المسيلة 2017 ،ص20 .

2- عناصر التراث الشعبي

يعد التراث من أهم ما تركه لنا الأجداد ،إذ يمثل الإرث الذي يتوارثه الإنسان ليعبر به عن حياته اليومية و تجاربه التي تتغذى عن طريق التأثير و التأثر بين الحضارات ليرسم فيه لوحاته الفسيفسائية ويلونها بآثاره الشعبية من رقص و غناء و حكايات خرافية ذات مرجع شعبي بحت له صداه في نفوس تلك الشعوب و الأمم ، و منه يمكننا أن نقسم التراث إلى مادي و معنوي .

2-1 التراث المادي

يصدر هذا النوع من التراث من سلوكيات أو نشاطات التي تظهر على الإنسان ، و أهم منجزاته المادية من مبان و عمران و أشكال و المقابر و المساجد و القصور و الحصون و التي تعرف في لغة الأثريين بالآثار الثابتة ، إلى جانب الأدوات التي استخدمها الأسلاف في حياتهم اليومية .

" فالتراث المادي هو ما يتم توارثه عبر الأجيال و ما يتصل بالسلوك و طرق التعامل و تأدية الواجبات الاجتماعية و أدب المأكل و المشرب و الملبس و غيرها مما يتصل بأدق التفاصيل التي تميز كل أمة عن الأمم الأخرى " [1]

إذن التراث المادي هو الذي يكمن في تلك الملموسات و الماديات التي بقيت محافظة عل شكلها طول هذه الفترة الزمنية إلى غاية أن وصل إلينا بهذا الشكل ، ولا يقتصر التراث المادي على المباني و الأشكال و العمران و إنما يتمثل في اللباس و المأكل و طرق التعامل .....الخ و هذا ما توضحه أسماء محمد معيكل في قولها "الإرث المادي هو ما يتم توارثه عبر الأجيال من عادات و تقاليد و مبادئ و ما يتصل بالسلوك ،و أدب التعامل من أدب المأكل و الملبس و المشرب و غيرهما بأدق التفاصيل التي تميز أمة عن غيرها من الأمم، و يتم اكتساب هذا النوع من الثقافة عن طريق التقليد و المحاكاة [2] .

و يمكن القول أن التراث المادي الذي يتمثل في المأكل و الملبس من خلاله نستطيع أن نميز أي أمة عن غيرها من الأمم ، و من جهة أخرى فهذه المأثورات الشعبية مكتسبة عن طريق الإحتكاك بالغير .

---

1 عبد القادر الريحاوي قمم عالية في تراث الحضارة العربية الإسلامية المعمارية و الفنية ، منشورات وزارة الثقافة ، سوريا ، دمشق ، دط،2000 ، ص 60.

2 أسماء محمد معيكل ، الأصاله و التخريب في الرواية العربية ،رواية حيدر حيدر نموذجا ، دراسة تطبيقية ، عالم الكتب الحديث للنشر و التوزيع إربد ، الأردن ،ط1 2011،ص59

وإلى جانب هذا يمكن للتراث المادي أن يدخل عليه بعض التقنيات التكنولوجية و الاكتشافات الحديثة " فالتراث المادي يكون أثر ضرورة و أكثر التصاقا بالجنس البشري كله لأنه يمثل سعيه من أجل حياة و تتجسد في كل ما يحققه من منجزات مادية كالمنجزات العمرانية و التطبيقات التكنولوجية و الاكتشافات العلمية المختلفة الميادين ، فهي لا تخص مجتمع دون مجتمع و لا ثقافة دون أخرى إنما هي ضرورة يشترك في الحاجة إليها جميع البشر ، و لذلك يمكن أن تنتقل بسهولة و يسري كما نرى في منجزات الحضارة المعاصرة " [1]

نلاحظ أن التراث المادي يظهر أكثر في العمران و المباني ،كما أن إضافة تقنيات حديثة هو من باب استمرار الحياة و البقاء ، هذا من جهة أخرى يمكنه أن ينتقل بسهولة من حضارة إلى أخرى لأنه عبارة عن عناصر مادية يمكن أن نحاكيها و نصنع مثلها.

2-2 التراث المعنوي

يتمثل التراث المعنوي أو اللامادي في كافة المظاهر الغير ملموسة لمختلف أنواع التراث ، و يقصد بعبارة التراث الثقافي غير المادي ما ذهبت إليه اتفاقية صون التراث غير مادي عام 2003م إلى تعريفه بأنه " الممارسات و التصورات و أشكال التعبير و المعارف و المهارات، و ما يرتبط بها من آلات و قطع و مصنوعات و أماكن ثقافية و التي تعدها المجموعات و الجماعات ، و أحيانا التراث جزءا من تراثهم الثقافي ، و هذا التراث الثقافي المعنوي المتوارث جيلا عن جيل ، تبدعه الجماعات و المجموعات من جديد بصورة مستمرة بما يتفق مع بيئتها و تفاعلاتها مع الطبيعة و مع تاريخها " [2].

و يعرف الشق المعنوي للتراث باسم التراث الشعبي ، إذ يتكون من عادات الناس و تقاليدهم ، وما يعبرون عنه من أراء و أفكار و مشاعر يتناقلونها جيلا عن جيل و هو استمرار للفلكلور الشعبي ،كالحكايات الشعبية ، و القصص البطولية و الأساطير ، و أنواع الرقص ، و الحكايات الشعرية للأطفال و الألغاز و الأمثال ....إلخ و هذا الشيء من التراث لا يقل أهمية عن التراث المادي .

1 الربيعي بن سلامة ، الحضارة العربية الإسلامية بين التأثير و التأثر ، ديوان المطبوعات الجامعية ، بن عكنون الجزائر، دط ، 2009،ص10.

2 طلال معلا ، التراث الثقافي غير المادي ، تراث الشعوب الحي ، مركز دمشق للأبحاث و الدراسات سوريا ، دمشق ، العدد 2017، ص 07 .

وتشير اليونيسكو إلى نوع التراث المقصود أي التراث غير الملموس و تعرفه كما يلي : " أساليب الحياة للمجتمع ، بالإضافة إلى المعارف و المهارات و الإبداعات التي تعيش أفراد المجتمع حسبها ، والتي يبدعونها و الإنتاجات التي يصنعونها و الأماكن ، و باقي نواحي الإطار الاجتماعي و الطبيعي الضرورية لبقائها ، تلك العمليات التي تمد المجتمعات الحية بالشعور بإستمراريتها و ارتباطها بالأجيال السابقة و المهمة لهويتهم الثقافية و للحفاظ على التنوع الثقافي و على الإبداع لدى الإنسانية كلها " [1]

و يمكن تقسيم التراث المعنوي أو اللامادي إلى عدة أنواع ، كل حسب مجاله :

أ– فنون قولية : و تضم الفنون الشعبية التقليدية المنقولة لغويا و شفويا من زجل و شعر شعبي و أغاني شعبية و قصص و حكايات و ألغاز و أمثال و حكم .

ب– عادات و طقوس و تقاليد و مناسبات و احتفالات و ما يدور فيها من سلوك و طرق اتصال و أساليب تعامل مع القوى الخارقة .

ج– فنون حركية و تقاليد أداء العروض و تضم الرقص و الدبكة و الموسيقى و المسرح و الألعاب .

د– معارف و معتقدات ، و نضم المعتقدات الدينية الشعبية و المعتقدات بالجن و الأرواح و المعتقدات حول الطبيعة و المعارف الطبية الشعبية .

إن ما يميز التراث المعنوي هو " الحيوية التي تجعه قادرا على الاستمرار و الحياة ككائن حي يتكيف باستمرار مع تطور المجتمعات و البيئة و المحيط ليمضي في وجوده ، رغم هشاشته " [2]

نستنتج من كل ما سبق أن التراث سواء كان ماديا أو معنويا فهو يمثل روح الأمة ، و بمثابة بطاقة تعريف لأي شعب من الشعوب

3– خصائص التراث الشعبي :

يتميز التراث الشعبي بجملة من الخصائص نذكر منها ما يلي :

1 شريف كناعنة ، دراسات في الثقافة و التراث و الهوية ، تح : مصلح كناعنة المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية رام الله فلسطين 2011 ص 218

2 طلال معلا ، التراث الثقافي غير مادي ، تراث الشعوب الحي ص07.

3-1 تجهيل الزمان و المكان : التراث الشعبي لا يتقيد بالزمان و المكان لأنه قديم النشأة و ينتقل عبر الأجيال وهذا ما يذهب إليه بلحيا الطاهر في قوله : " إعراضه عن التقيد بالزمان و المكان داخل القطر فهو يلغي وجودهما الفعلي ، و يستبدلهما بوجود متخيل ،كأن يبدي إغفال الدقة التاريخية إغفالا تاما ، فيأتي التعبير كان في قديم الزمان ، أو يحكى أنه في قديم الزمان ، أو يأتي على الأشكال التالية في مكان ما أو في صحراء ما بعيدة عنا ، أو غيرها من التعابير التي توحي ببعد المكان ، و كذا تغليب النزعة الدينية لطبيعة العناصر التراثية الخيرة ." [1].

3-2 التعميم : إن التراث الشعبي يشمل كل ما يتعلق بالإنسان حيث "يتميز التراث الشعبي بظاهرة التعميم ، فالأدب الشعبي لا يهتم بالعقل و المنطق ، و إنما يأخذ الظاهرة على علاقتها ، و كأنها قدر مكتوب ومن هنا فإن موقفه تغلب عليه الروح التقريرية و السذاجة في الغالب "[2].

3-3 القدم و العراقة : قد يكون التراث قديما و قد يكون معاصرا نسبيا ، و لذا فهي صفة ليست شرطية ، و لكن قد يغلب القدم على الكثير من أصناف متعددة ، و لكن التراث ضارب الجذور في حضارة و قيم و ثقافة الأمم فهو يعد مجهول المؤلف .

3-4 التواتر الشفوي : و يعني تناقل التراث من جيل إلى جيل آخر عن طريق المحاكاة إذ كانوا يعتمدون على الذاكرة لحفظه من الضياع و الاندثار و النسيان .

3-5 البساطة : يستمد التراث قيمته و بنيته التكوينية من قيم حضارة المعنى و المبنى ، فالتراث يعكس الخصوصية و العفة و التسامح و الكرم و الجمال و هي كلها قيم أصلية تحتوي على البساطة و عدم التعقيد .

3-6 العادات و التقاليد الاجتماعية : فهو أداة فعالة للتعبير الصادق عما يجري في المجتمع ، فالتراث هو الحصيلة الكلية لمجموعة من التفاعلات عبر حقب و فترات زمنية متتابعة.

1 بلحيا الطاهر، التراث الشعبي في الرواية الجزائرية ، منشورات التبيين الجاحظية ، الجزائر سنة 2000 ، ص12

2 التلي بن الشيخ ، دور الشعر الجزائري في الثورة ، الشركة للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1983 ،ص84.

3-7 تخليد الأجداد : ذلك أن التراث الشعبي يحافظ على القيم السامية التي ورثوها عن الأجداد و نقلوها عبر الأجيال المتعاقبة " لأنه أثبت قابلية الصدق الفني ، بحيث جعله يعكس هموم العصر ، و عقده المختلفة و يرصع ثنايا الرواية بجمال براق يتلألأ ضياء و إشراقا و خلودا" [1].

هذه بعض أنواع و خصائص التراث الشعبي الذي برز و أثبت مكانته في الساحة الأدبية نظرا لأهميته و دوره الفعال في حفظ تراث الأمة و خدمتها ، إلا أنه عرضة للضياع و النسيان لولا اهتمام الدارسين و الباحثين به .

المبحث الثاني : الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية

تمهيد :

تعتبر الرواية من أحسن فنون الأدب النثري و أجملها ، و تعد الأكثر حداثة من ناحية الشكل و المضمون ، كما أن للرواية تأثيرا كبيرا في المجتمع لأنها تتحدث عن مواقف و تجارب البشرية في زمان و مكان معينين لتعطينا عبرة و نصيحة ، أو قصة أو درس نستفيد منه في المواضيع التاريخية و الاجتماعية و النفسية والعاطفية و غيرها و بالتالي وجب علينا أولا البحث في مصطلح الرواية ، فما مفهوم الرواية لغة و اصطلاحا ؟

1- مفهوم الرواية

1-1 لغة : جاء في لسان العرب لابن منظور كلمة *روى* " تعني روى الحديث ، و الشعر بروية رواية و ترواه" [2] .

و قد عرفها الجوهري بقوله : " رويت الحديث و الشعر روايته فأنا راو في الماء و الشعر من قوم رواه و رويته الشعر تروية أي حملته على روايته أو روايته أيضا تقول : أتشد القصيدة يا هذا أولا تقل أ روها إلا أن تأمره بروايتها أي باستنباطها " [3].

نستنتج من التعريفين السابقين بأن كلمة رواية تحمل معنى القول ، و نقل الأخبار و الإرواء بسقي الماء.

1 بلحيا الطاهر ، التراث الشعبي في الرواية الجزائرية ،ص14.

2 ابن منظور ، لسان العرب ، مادة روى ،ط1 ، ص1812

3 الجوهري ، تاج اللغة العربية الحديث ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ،ط 2 ، سنة1989 ، ج2 ، ص10

1-2 اصطلاحا : من الصعب إيجاد تعريف واحد ، أو مفهوم شامل و جامع للرواية كفن نثري ، أو نوع أدبي و السبب في ذلك كون الرواية من الفنون النثرية غير واضحة الدلالة ، و كل باحث يدلي بدلوه فيها ، و يعطيها تعريف حسب تطور و اختلاف العصور .

ففي العصور القديمة كانت الملحمة هي الرواية ، و في القرون الوسطى كانت القصة الطويلة الخرافية هي الرواية ، و في بداية القرن التاسع عشر كانت القصة الطويلة الرومانسية هي الرواية ، و و مع بداية النصف الثاني من القرن التاسع عشر كانت القصة الطويلة الواقعية هي الرواية .

و هكذا فالرواية تتخذ في كل عصر شكلا مغايرا و مضمونا و خصائص فنية جديدة .فقد عرفها الروائي الجزائري الطاهر وطار بقوله :" الرواية بالأصل فن لا نقول دخيل على اللغة العربية ، و إنما فن جديد في الأدب العربي اكتشفه العرب فتبنوه[1].

يتضح من خلال قول الطاهر وطار أن الرواية وليدة التراث العربي و ليست دخيلة على الفنون الأدبية .

أما محمد الخطيب فيعرفها بقوله :" إن فرصة الكتابة نثرا يتيح مجالا أوسع للتعبير عن الحياة و واقع المجتمعات لأنها تعمل على تقريب المتخيل من الواقع كما تمنح للراوي حرية أكبر لأنه يبتعد عن قيود الشعر "[2].

يرى محمد الخطيب أن الرواية فن نثري يتيح للراوي فرصة التعبير عن واقع الحياة و المجتمعات لأنه تحرر من قيود الشعر مثل الوزن و القافية .

أما عبد المالك مرتاض فيعرفها بأنها : " هي كل فعل أو عمل سردي مطول نسبيا معقد التراكيب و البناء القائم على تقنيات للكتابة المعروفة " [3].

يرى عبد المالك مرتاض أن الرواية هي سرد لأحداث مطولة و معقدة التراكيب و البناء.

---

1 مفقودة صالح : نشأة الرواية العربية في الجزائر التأسيس و التأصيل ، مجلة المخبر ، أبحاث في اللغة و الأدب جامعة محمد خيضر بسكرة ، الجزائر ، كلية الآداب و العلوم الأجتماعية و الإنسانية ، قسم أدب عربي سنة 2008،ص5

2 محمد خطيب ، الرواية و الواقع ، دار الحداثة ، بيروت ، ط01 ، سنة 1981 ، ص7.

3 عبد الملك مرتاض ، في نظرية الرواية ، بحث في تقنيات السرد ، سلسلة عالم المعارف ، الكويت ، شعبان ، 1988 ، ص23.

2- تاريخ ظهور الرواية المكتوبة بالفرنسية :

كانت الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية متأخرة قليلا مقارنة بنظيرتها المكتوبة باللغة الفرنسية إذ لم يسعفها الحظ بالظهور في الساحة الأدبية نتيجة للاحتلال الفرنسي للجزائر ، و الظروف الصعبة التي مر بها الشعب و الأدباء بصفة خاصة ، حيث سعى الاستعمار إلى تطبيق سياسته المتمثلة في نشر الثقافة الفرنسية في الجزائر ، مما أدى إلى القضاء على الهوية العربية و الإسلامية ، و هذا ما يفسر قلة الكتابة باللغة العربية ، فبرزت نخبة قليلة من الأدباء الذين كتبوا باللغة الفرنسية ، لكن معظم كتاباتهم حول الأوضاع التي عاشتها الجزائر آنذاك .

حيث ظهر أول نص أدبي كتبه جزائري باللغة الفرنسية في سنة 1891م، و هذا ما أكده *جان دي جو* و هو عبارة عن قصة بعنوان *انتقام الشيخ* مستقاة من التقاليد الاجتماعية الجزائرية كتبها * محمد بن رحال* إلا أن جان دي جو يتخذ من 1920م كانطلاقة حقيقية لهذا الأدب الناشئ ، و إذا سلمنا بهذا التاريخ على أنه بداية الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية ، و هذا ما لا ينكره بعض الباحثين لكنهم يتجاهلون في الوقت ذاته كما يتجاهلون كل ذلك الأدب الذي كتبه الجزائريون بالفرنسية في فترة مابين الحربين[1].

و من الروايات التي شغلت أزمة الهوية نجد : " رواية *مريم بين النخيل* سنة 1934م لمحمد ولد الشيخ و رواية *بولنوار الفتى الجزائري * سنة 1941م لرابح زناتي ، و * ليلى فتاة جزائرية * سنة 1948م لجميلة دباش ، و لكن تظل رواية * العلج أسير بلاد البرابر * لشكري خوجة أهم رواية عالجت هذا الموضوع ، فقد كانت الأسبق في الظهور من الروايات المذكورة "[2].

فمعظم هذه الروايات المكتوبة باللغة الفرنسية التي ظهرت في هذه الفترة ، عالجت الأوضاع الاجتماعية و السياسية و الاقتصادية السائدة في المجتمع الجزائري ، و تصف الحالة المزرية للشعب ، فبالرغم من طمس الاستعمار لهوية و لغة الأمة الجزائرية ، إلا أن هؤلاء الأدباء تمكنوا من كسر تلك القيود التي فرضت عليهم ، و إيصال معاناتهم و ألامهم و آمالهم إلى العالم.

1 أحمد منور ، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي ، نشأته و تطوره ، ط1 ، ديوان المطبوعات ، الجزائر ، سنة2007 ، ص88-89 .

2 أحمد منور ، المرجع نفسه ص 98.

3- أبرز أعلام الرواية الجزائرية باللغة الفرنسية :

من أشهر الأدباء الذين يكتبون باللغة الفرنسية نذكر مايلي :

3-1 محمد ديب : و الذي يعتبر أبو الرواية الجزائرية المعاصرة ، فقد كانت الظروف التي عاشتها الجزائر هي السبب في دفعه للكتابة للتعبير عما تعانيه و تمر به ، و هذا ما أكده أبو القاسم سعد الله في قوله : " بلا منازع هو أبو الرواية الجزائرية المعاصرة ، و إنما الظروف التي كانت تعيشها الجزائر هي التي دفعته إلى الواقعية و أصبح روائيا و وطنيا ، و في سنة 1952م أصدر أولى رواياته و هي *الدار الكبيرة * ثم تلتها * الحريق * ثم * النول * و هي ثلاثيته الشهيرة ، و له أعمال كثيرة وصلت إلى 24 عملا بين رواية و قصة و شعر ، و من أعماله أيضا * المقهى * و * الظلال الحارس* . و الظاهرة البارزة في أدبه هي أن أعماله مصبوغة إلى حد العنف بالمأساة التي تعيشها الجزائر تحت الاستعمار "[1].

3-2 مولود معمري : الذي يعد من أبرز أبناء الجيل الأول للحركة الأدبية الجزائرية التي كتبها باللغة الفرنسية ، حيث نشر روايته الأول "التل المنسي 1952م، ثم جاءت روايته الثانية * نوم الرجل العادل* 1955م و بعد عشر سنوات جاءت روايته الثالثة الأفيون و العصا 1965م، و تجيء روايات مولود معمري في أنها روايات سياسة في المقام الأول ، ليس فقط لأنها تقف ضد الاستعمار، بل أنها تهاجم الأفكار الغربية التي يعتقدها أبناء القرية في روايته التل المنسي "[2].

3-3 رشيد بوجدرة : لقد كتب رشيد بوجدرة جل أعماله باللغة الفرنسية " فقد نشر روايته الطلاق باللغة الفرنسية ، فقد كان عليه أن يتعامل مع اللغتين بنفس القدر ، فهو إذا كتب رواية بإحدى اللغتين كان عليها أن يترجمها بنفسه و بلغته الإبداعية إلى اللغة الثانية ، و حدث ذلك في كل أعماله ، و قد كانت مسألة الهوية و اللغة الذاتية هي من المسائل الأساسية بالنسبة للروائي"[3].

1 أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي (1954م-1962م) ، ج10، دار البصائر الجزائر ص160- 163

2 محمد قاسم ، الأدب العربي المكتوب بالفرنسية ط1، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،مصر ، سنة 1999م ، ص 116.

3 محمد قاسم ، المرجع نفسه ، ص 134.

3-4 مولود فرعون : لقد كان للكاتب مولود فرعون أعمال أدبية كثيرة نشرها أثناء الثورة أو قبلها بقليل ، و لم يكتسب شهرة كأديب مثل الآخرين ، و يبدو أنه كان متفرغا للتعليم و إدارة المدارس و الأعمال التربوية أكثر من التفرغ للأدب و النقاش الفكري خلافا لزملائه و من أعماله الأدبية قصة * الطرق الصاعدة * و هي مترجمة إلى العربية و * الأرض و الدم *، بالإضافة إلى اليوميات التي كان يحتفظ بها ، و قد ركز مولود فرعون في أدبه تصوير عادات وتقاليد القبائل "[1].

3-5 كاتب ياسين : لعلنا لا نعدوا الصواب إذا قلنا أن كاتب ياسين يأتي في الدرجة الثانية في الأهمية الأدبية بعد محمد ديب ، شارك مبكرا في النضال السياسي ، و عان من أحداث 8 ماي 1945م ، و بعد نشاطه الأدبي بالشعر ، نشر في البداية عملا نثريا عن *حياة الأمير عبد القادر *ثم نشرت له تمثيلية بعنوان * الحية المطوقة * ، ثم *نجمة * التي نشرت في فرنسا سنة 1956م و التي تمثل الجزائر المكافحة "[2] .

و بعد الاستقلال واصل كاتب ياسين نضاله من أجل الجزائر " خدمة للطبقات الكادحة والمحرومة و مناصرة حركات التحرر للشعوب في العالم منها القضية الفلسطينية "[3].

نستنتج من كل ما سبق أن الكتابة الروائية في الجزائر ، لم تحظ بمكانتها التي تستحقها مقارنة بالأدب العربي و العالمي ، و هذا بسبب الاستعمار الفرنسي الذي قضى على كل محاولة للتعبير باللغة العربية ، فلم يكن أمام الأدباء سوى الكتابة باللغة الفرنسية .

1 أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ص182.

2 المرجع نفسه ، ص171-172

3 بشير بلاح ، تاريخ الجزائر المعاصرة (1830م-1989م) ، ج2 ، دار المعرفة الجزائر ، سنة 2007، ص355.

4- توظيف التراث الشعبي في الرواية الجزائرية:

إن هدف توظيف التراث الشعبي في الرواية الجزائرية هو الدعوة إلى تمسك بثوابت الأمة العربية الإسلامية و المحافظة على ركائز السيادة حيث يشكل الموروث مادة خصبة من خلال تراثه و اعتنائه بألوان و ضروب مثيرة من التعابير ، فلقد شغل التراث الشعبي حيزا مهما في الإبداع الروائي لدى الكتاب الجزائريين ، لدرجة أصبح التراث نقطة تلتقي فيها ورايتهم .

إلا أن الأدباء الجزائريون اختلفوا " في طبيعة توظيف التراث الشعبي من حيث الكم و النوع و الطريقة حسب تصوراتهم الفكرية و مواقفهم من التعبير الاجتماعي و الاقتصادي و السياسي في المجتمع ، كما ارتبطت محاولات استخدام هؤلاء الأدباء للتراث الشعبي أساسا بشروط تمثلت في الصيرورة التاريخية و الدلالة المعاصرة و التوفيق في التراث الوعي الفني "[1].

إن توظيف التراث الشعبي في الرواية العربية عموما و الجزائرية بوجه خاص ، لم يكن محظ صدفة ، بل كان لهذا التوظيف أسباب و دوافع التي حفزت الأديب و المبدع على العودة إلى تراثه ، و الغوص فيه ، و استخراج مكنوناته و إعادة صياغتها حسب أفكار و رؤى الكاتب ، و نظرا لما تملكه هذه الأشكال التراثية الشعبية من القدر على التأثير .

5- دوافع توظيف التراث .

5-1دوافع الواقعية : كانت الظروف التي عاشتها الجزائر خلال العهد الاستعماري الفرنسي من بين العوامل التي دفعت الكتاب الجزائريين إلى ضرورة " تغيير للبنى الفكرية و الاجتماعية و السياسية و الثقافية و منها مراجعة التراث لا من أجل التقديس و الانغلاق و لكن لتحقيق الوثيقة الحضارية المنشودة "[2]. من أجل مقاومة الاستعمار الذي حاول فرض ثقافته و فكره .

1 عبد الحميد بوسماحة ، توظيف التراث الشعبي في روايات عبد الحميد بن هدوقة ، رسالة لنيل درجة الماجيستير ، جامعة الجزائر معهد الآداب و اللغات ، سنة 1991م ، ص44

2 محمد رياض و تار ، توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة إتحاد كتاب العرب ، دمشق سنة 2002م ، ص11.

5-2 الدوافع النفسية : إن الأوضاع السياسية المزرية التي مرت بها الجزائر من انحلال قيم الخير و الفضيلة ، و طغيان الجانب المادي على الحياة ، جعلت الكاتب الجزائري يعيش حالة من القلق و الاغتراب فلجأ إلى التراث الشعبي كونه المعين الخصب الذي ينهل منه للتعبير عن التمزق و التشتت النفسي الذي يعانيه الإنسان الجزائري و لأنه وجد فيه " وظيفة للترويح عن النفس و تثبيت القيم و التلاؤم مع أنماط السلوك "[1].

5-3 الدوافع الثقافية : لقد وجد الكاتب الجزائري في التراث الشعبي ، مصدرا يغترف فيه للتعبير عن مكنوناته و مشاكله ، و كذا ما كان خفيا من حقائق الماضي ، مما جعله يستغنى عن الإرتباط بغيره ، حيث و جدها تنطوي على ألوان كثيرة كالقصص البطولية ، و قصص الفرسان و غيرها ، فكلها تصب في وعاء الثقافة الجزائرية لأن الشعوب المضطهدة كانت تبحث دائما عن هويتها ، لأن العودة إلى التراث هو العودة إلى الهوية

1 رشيدي صالح ، المأثورات الشعبية و العلم المعاصر ، مجلة عالم الفكر الكويتية ، عدد1 ، سنة 1972م ، ص72.

الفصل الثاني

الفصل الثاني :التطبيقي: توظيف التراث الشعبي في ثلاثية محمد ديب

تقديم الثلاثية

المبحث الأول : التراث الشعبي في رواية الدار الكبيرة

1- ملخص رواية الدار الكبيرة

2- توظيف التراث في رواية الدار الكبيرة

2-1 المعتقدات الشعبية

2-2 العادات و التقاليد

2-3 الحرف و المهن

2-4 اللباس التقليدي

2-5 المأكولات الشعبية

2-6 الأواني المنزلية

المبحث الثاني : التراث الشعبي في رواية الحريق

1- ملخص رواية الحريق

2- توظيف التراث الشعبي في رواية الحريق

2-1 المعتقدات الشعبية

2-2 العادات الشعبية

2-3 اللباس التقليدي

2-4 المهن و الحرف اليدوية

2-5 العمران

2-6 المأكولات الشعبية

2-7 الأمثال الشعبية

2-8 الألغاز الشعبية

2-9 الألعاب الشعبية

2-10 الأغنية الشعبية

المبحث الثالث : التراث الشعبي في رواية النول

1- ملخص رواية النول

2- توظيف التراث الشعبي في رواية النول

2-1 العادات و التقاليد

2-2 اللباس التقليدي

2-3 مهنة النسيج

2-4 المأكولات الشعبية

2-5الألات الموسيقية

2-6 الأواني التقليدية

2-7 المشروبات الشعبية

ثلاثية محمد ديب

تأتي ثلاثية "ديب" المعروفة بثلاثية "الجزائر" في صدارة الأعمال التي تؤرخ لمسار الرواية الجزائرية باللسان الفرنسي ، وتضع صاحبها في مصاف الطليعة من الكتاب الجزائريين العالميين، فضلا عن أعمال أخرى ذات طابع محلي وآخر عالمي ، وسنقتصر حديثنا عن بعض الإصدارات الروائية لنبين من خلالها الوجه المحلي الحامل للخصوصية الوطنية المحلية التي تطبع المحتوى الديني ذلك أن "المحلية هي التي تعطي للشعب ميزاته... إلى جانب سلوكه المعاشي وإنتاجه الاقتصادي"[1]

ويتجلى ذلك من خلال منظومة ثقافتها وأيديولوجيتها وللبنيات الاجتماعية المميزة له، والتي تعتبر قواسم مشتركة تميز أمة عن أخرى، إلى جانب الوجه العالمي الحامل لمعطيات وأبعاد ثقافية ، فكرية واجتماعية عالمية ، وقد انتقينا في ذلك عدة نماذج روائية تقصينا من خلالها الجانب التراثي المحلي الكامنة في المنتجات الروائية ويتعلق الأمر بثلاثية الجزائر (الدار الكبيرة- لحريق- النول) .

تدنو الثلاثية من الملحمة الثورية الواقعة من خلال إبرازها لكافة الجوانب مصورة في كل جزء من أجزائها الثلاثة مشاهد الفقر والجوع والبؤس، لذلك فإن الحبكة الفنية في الثلاثية لا تعتمد على وجود عقدة في كل جزء ، ولا على نمو الأحداث والشخصيات في طريق مرسوم يوصل إلى الحل، وإنما يعتمد البناء على تكامل الأجزاء، بحيث نرى فيكل جزء ضوءا مسلطا على مشهد من خلال حركة الشخصيات ، هذا المشهد يتضافر مع غيره من المشاهد في تكوين لوحة عريضة لصورة الحياة الكاملة.[2]

يبدو أن استعمال "ديب" للغة مستمر كتقنية لإبراز الواقع القهري للشعب الجزائري لا يعني تخليه عن التزامه بقضية شعبه ووطنه ، وإنما تصالحه مع لغة المستعمر جاء كرد فعل لفضح الأساليب والمواقف الإيديولوجية والعملية التي تنتهجها السياسة الكولونيالية .

1 خلاصي وليد ، القصة القصيرة ، والملامح المحلية ، مجلة الآداب ، العدد1،دمشق ، 1972 ، ص37.

2 فتيحة عاشوري ، المصالحة و التسامح عند محمد ديب ، بين المحلية و العالمية ، مذكرة ماجيستير، جامعة باجي مختار ،قسم اللغة العربية و آدابها ، عنابة ،2011-2012،ص93

المبحث الأول : التراث الشعبي في رواية الدار الكبيرة

1- ملخص رواية الدار الكبيرة Grande maison

تعالج الرواية في مضمونها عدة مشاكل نابعة من أعماق المجتمع الجزائري والمجسدة في قصة (عمر) هذا الطفل الفقير البائس الذي يعاني من أجل الحصول على قطعة خبز ، فكانت له طريقان ، ففي المدرسة يحصل عليه من خلال حماية الأولاد الصغار الذين يستبد بهم كبار التلاميذ وكان المقابل أن هؤلاء الصغار يقدمون له الخبز لأنه لم يكن يجيء غلى المدرسة بخبز .

أما الطريقة الثانية فكانت في "دار سبيطار" حيث كان يحصل عليه من خلال مساعدته لـ "يمينة" التي هي جارته من خلال قيامه ببعض الأعمال وكانت تكافئه عند عودته بقطعة من خبز مع كمرة من الفاكهة، وبعيدا عن المدرسة كان عمر يقضي وقته في الشارع حيث يتسكع مع غيره من الأطفال وكانت هوايتهم الرمي بالحجارة .

اليوم عطلة بالنسبة لعمر لأنه يوم الخميس وليس عليه أن يذهب إلى المدرسة ولم تكن أمه "عيني" تعرف كيف تتخلص منه فوضعت في وسط الغرفة "كانونا" مليئا برماد الفحم، الذي كان يشتعل بصعوبة حتى أن عمر حضن الكانون لكي يتدفئ ، أما أمه "عيني" فكانت جالسة في غرفة أخرى وأخذت تدمدم وتكيل الشتائم وكأنها حاقدة على أحد ، وكانت في تلك الغرفة الجدة "ماما" فلقد تسلموها بعد أن أواها ابنها ثلاثة أشهر أخرى .

جاء شهر مارس بالتحديد يوم الأحد، اليوم الذي لا ينسى في حياة دار سبيطار، حيث قام في البيت اضطراب واستولت الجبرة على أصحابه وأخذ السكان يندفعون من غرفهم مسرعين ويتجمعون في فناء البيت، وبكاء الأطفال، السبب ضربات تهز الباب ، الكثير ولم يحاول أحد فتحه بسبب خوفهم ، وبعد مرور الوقت تقدمت بين الحشد امرأة تدعى "سنية" ففتحت الباب وعرفت أنهم الشرطة يبحثون عن حميد سراج ، ففتشوا غرفة أخته وكم انطلقت أصوات بكاء وصراخ مما جعل رجال الشرطة يتحيرون وينقطعون عن التفتيش ويتركون الغرفة ، ومنذ أن فتشت الشرطة دار سبيطار لم يطرأ أي حادث جديد يعكر حياة البيت الكبير .

إنها العطلة الصيفية ، ثلاثة أشهر لا يقرب فيها عمر المدرسة ، أما الجدة ، فإن الأشهر التي يجب أن تقضيها عند "عيني" قد انقضت منذ زمان طويل ولكنها قد تركت لعيني، كانت دار سبيطار تعيش حياة طائشة عمياء، حياة يهزها الغضب والقلق والخوف في كل لحظة ، كل كلمة تقال فهي شتيمة أو صراخ وكان الحر الشديد الذي يصاحبه الجوع دائما يؤرق لياليهم.

عملت "عيني" على ماكنتها لمدة عاما لكي تعيل عائلتها والآن أصبحت تعمل في مصنع الأحذية ، وكانت كل يوم سبت تأخذ معها عمر، ليتأكد من أن المبلغ الذي يدفعه الرجل لأمه صحيح .

أما البنتين (عويشة ومريم) فهما تعملان في مصنع السجاد وأصبح بإمكانهما مساعدة أمهما في إعالة البيت والحصول على خبز أكثر ، وذات يوم قدم رجل إلى بيت سبيطار يدعي أنه ابن خالتها ويدعى مصطفى ، ففتحت له عويشية الباب وقدم لها سلّة ممتلئة بالفلفل والبطاطا واللحم و ...الخ، وعمت الفرحة أهل البيت ، وبعد هذا اليوم حصل تغيير في البيت وأصبحت "عيني" تبقى مدة أطول قرب الجدة ولا تتشاجران ، لقد كان من حين لآخر سكان سبيطار يسمعون صوت صفارة الإنذار عدة مرات متتالية خلال الأسابيع الماضية ، وأنه لا شك أن الحرب ستندلع .

وفي يوم من أيام شهر أيلول ، مر عمر بميدان البلدية ومن جديد صفارة الإنذار ينطلق زئيرها، وما هي إلا لحظات حتى خلت الشوارع ولم يكن لعمر 'لا أن يعدو إلى أن وصل إلى دار سبيطار ، وأصبح كل من في البيت يتكلمون عن الحرب، وحين حل الليل خرج عمر ليشتري الخبز وكانت المدينة لا تزال مزدحمة، وحين اكتشف عمر ذلك الجمهور في الشارع نسي الخبز الذي خرج ليشتريه، وجرفه السيل العارم من الناس وأصبح بعيدا عن البيت وانتهى به الأمر إلى ما يشبه الاحتفال .

وعند عودته إلى البيت أمرته أمه بالذهاب لإحضار الخبز الذي نسيه أو ينال عقابه ، وفي ساعة متأخرة من الليل ذهب عمر إلى الفرن ولكن لسوء حظه وجده مغلقا مما جعله مرغما على الذهاب إلى بيت صاحب الفرن ، حضن الصبي الخبز بكلتا يديه ومضى مسرعا إلى البيت، وحين صار عمر في وسط البيت شعر براحة، وقدم الخبز لأمه فابتسم وجلس مع القاعدين أمام المائدة وأخذ يراقب أمه وهي تقطع الخبز على ركبتها .

2- توظيف التراث في رواية الدار الكبيرة

تعتبر رواية الدار الكبيرة من الروايات الأولى في ثلاثية محمد ديب ، فقد تمكنت هذه الرواية من سدّ احتياجات الأجيال في فن روائي واقعي يعبر بكل صدق عن مشاكل وهموم الناس ، والمتمعن في الرواية يلاحظ بأن محمد ديب قد طرح فيها العديد من القضايا الشائكة، ولعل من بينها : وضعية أهل الدار الكبيرة بصفة عامة ، والجزائرية بصفة خاصة وما يعانيه الشعب الجزائري إبان الفترة الاستعمارية .

والمتتبع لفصول الرواية يلاحظ بأن الكاتب رغم تعرضه للحديث عن بعض القضايا المتأزمة والشائكة إلا أنه لم يغفل عن ذلك التراث الشعبي الأصيل ، حيث نجده حاضرا في كامل أطوار الرواية ، وعليه تمر بين طيات الرواية وتقف عند مدلولاتها لتتمكن من الكشف عن مكوناتها ، ونحاول استحضار التراث الشعبي الذي وظّفه.

2-1 المعتقدات الشعبية :

صاحبت المعتقدات الإنسان منذ ظهوره على البسيطة وذلت راسخة في ذهنه عبر العصور حتى يومنا هذا ولا يتوانى في استخدامها متى أتيحت له الفرصة لذلك، فالمعتقدات موروث شعبي أصيل تناقله الخلف عن السلف دون تحريف بالزيادة أو النقصان على اعتبار أنها تتمتع بشيء من القداسة ، أما إذا عدنا إلى رواية الدار الكبيرة وحاولنا استخراج بعض هذه المعتقدات التي ترسخت في أذهان سكان الدار فإننا نجد صفة التقديس .

فقد كان أهل الدار الكبيرة يقدسون حميد سراج ويجعلونه رجل عظيم يملك قوة لا مثيل لها ، كانوا ينظرون له نظرة الرجل الأسطورة جاعلين له مرتبة عالية من القدر ، ونجد هذا يتجسد في الرواية من خلال "أصبحن ينظرن إلى حميد نظرتهن إلى رجل يملك قوة مجهولة وتعاظم الاعتبار الذي يتمتع به حميد في نظرهن تعاظما لا يكاد يتصوره الخيال"[1].

فهنا نلاحظ أن أهل الدار الكبيرة يعظمون ويقدسون حميد سرّاج وهذا نتيجة للعلم الذي يتمتع به ، وكما هو معروف أن الشخص الذي يحمل عليما وافرا فهو مقدر وله مكانة عظيمة أمام الفئة الشعبية.

1 محمد ديب ، الدار الكبيرة ، تر سامي الدروبي ، دار الهلال 1970م،مصر ، دط ، ص55

كما تناولت الرواية اعتقاد أهل الدار بالعين الحسودة وإيمانهم الكبير بها وما لها من تأثير على حياة الفرد ، ويتجسد ذا من خلال إيمان "عيني" بالعين حيث نجد هذا في الرواية "آذتنا العين الحسود بما فيه الكفاية وأكثر ..هه ..هه ، فأجابتها عيوشة قائلة : صحيح ياما، إن الإنسان لا يستطيع أن يفعل في هذا البيت شيئا دون أن يتجسس عليه ثلاثمائة عين"[1]

ومن هنا يتبين أن العائلة بصفة خاصة كانت جد متأثرة ومؤمنة بالعين والدار الكبيرة بصفة عامة ، ويعتبر هذا المعتقد من المعتقدات الشعبية التي كانت تأخذ حيزا كبيرا في قلوب الشعب ولا تزال لها إلى يومنا هذا، فالناس يخافون من أعين الغير وذلك بوضع شيء مضاد مثل يد فيها خمسة أمام باب المنزل ووضع الأشواك وغيرها من الأمور الأخرى للوقاية من العين.

2-2 العادات والتقاليد :

إذا عدنا إلى الرواية وتمعنا فيها جيدا وجدنا أنها تعج برائحة التراث الشعبي الجزائري الأصيل المتمثل في العادات والتقاليد ، فقد مثلت العادات والتقاليد ثقافة أهل الدار الكبيرة ، وبرزت من خلال تعاملهم مع بعضهم البعض في السراء والضراء ، ولعل من بين هذه العادات والتقاليد التي ترسخت في عقول الناس وبالخصوص البسطاء ، ومازالت منتشرة بكثرة في وقتنا الحالي في بعض الأرياف الجزائرية ظاهرة الندبة ، وقد أشار محمد ديب إلى ذلك في العديد من مواضع الرواية "ويلي عليك يا أخي... ما الذي سيقع لك؟ .. ما الذي سيصنعونه بك؟ .. ويلي عليك يا أخي ..."[2] ، فالندبة كانت شائعة عند أهل الدار وهنا كانت فاطمة تصرخ على أخيها حميد سراج الذي قبضت عليه الشرطة ، فالندبة هي الصراخ والضرب باليدين على الأرجل إذا جرى مكروه إلى أحد أفراد العائلة أو الأقارب.

ومن العادات الجزائرية أيضا نجد إسدال الستار عند الأكل، وهذا ما نجده في العادات والتقاليد الجزائرية ، ويتجسد هذا في الرواية في قول الكاتب: "كانت كل أسرة تسدل ستارتها في مواعيد الطعام"[3]. وهذه العادة نجدها بكثرة في المناطق الريفية ، وهي مازالت إلى يومنا هذا متجذرة لدى الشعب الجزائري .

1 محمد ديب ، الدار الكبيرة ، ص118.

2 المصدر نفسه ، ص42.

3 المصدر نفسه ، ص42.

ومن العادات الجزائرية أيضا نجد الحنّة التي هي من المواد الطبيعية تستخدمها النسوة في تلوين شعرهن وهي أيضا من الأعشاب الطبيعية التي تقوم بتغذية الشعر، فالحنة صبغة طبيعية تلجأ إليها النساء اللواتي يبتعدن عن الصبغات الكيميائية ، وقد تجلى في قول الكاتب : "كانت عيني تشد المنديل الذي يغطي رأسها ، أن الحنة تصبغ شعرها الذي كان يجب أن يبدو أشهب "[1]

فعيني هنا تجسد عادة اقترنت بعادة الأجداد القدامى الذين كانوا يستعملون الحنة لصباغة الشعر وتجميل اليدين والرجلين ومازالت ممارسة هذه العادة إلى يومنا هذا لدى الشعب الجزائري في الأعياد الدينية والمناسبات مثل الأعراس والطّهور .

كما نجد أن الرواية تتجلى فيها المناسبات والأعياد الدينية مثل العيد الصغير والكبير كانت ولازالت لها أثر كبير لدى الشعب الجزائري ، فهي عادات نابعة من تاريخنا الثقافي والإسلامي ويتجلى هذا في الرواية : "فطائر العيد الصغير، الخروف الذي يذبح في العيد الكبير"[2] ، فقد استخدم محمد ديب هذه القيمة لكي يبين لنا أن الشعب الجزائري في تلك الفترة كان متماسكا بثقافته الإسلامية وعاداته وتقاليده.

2-3 الحرف والمهن اليدوية

***غزل الصوف** : يستخدم الصوف في صناعة الملابس الصوفية التي تتميز بدفئها في فصل الشتاء البارد، كما يمكن استخدامه في صناعة بعض أنواع السجاد والمفارش، بالإضافة إل صناعة الوسائد.

تربى النساء في القرى والأرياف ، المواشي والخرفان ويقصصن صوفها من فترة إلى أخرى باستخدام أدوات خاطئة وتسمى هذه العملية بالجزّ، وبعد ذلك يعملن على غزل هذا الصوف واستخدامه بطرق مختلفة وورد هذا في الرواية من خلال: "ذهبت يمينه بنت سنوسي الى سوق الغزل تبيع رطلي الصوف اللذين غزلتهما في الليلة البارحة ، وخرجت من البيت أيضا ابنتها عمارية وصالحة بنت نجار إنهما تعملان في مصنعين من مصانع السجاد ، ومضى خمسة صبيان أو ستة إلى مغازل بيبينير"[3] .

1 محمد ديب ، الدار الكبيرة ،ص26.

2 المصدر نفسه ، ص24.

3 المصدر نفسه ، ص61

فغزل الصوف يمثل ثقافة مادية تتميز بها الجزائر ، فالشعب الجزائري كان ولا يزال يحترف هذه المهنة في الأرياف الجزائرية يقتات قوت يومه .

أشارت الرواية إلى ثقافة استخدام جلود الحيوانات التي تستخدم في العديد من الأشياء ، فهذه الحرفة موجودة منذ القدم في الثقافة الجزائرية ، ويتجلى هذا في الرواية في قول "ديب" : "كانت عيني جالسة على جلد الخروف باسطة ساقيها أمامها "[1]

وهنا نلاحظ أن جلد الخروف يستخدم في البيت قديما للجلوس والنوم عليه، وقد ورد جلد الخروف في مواضع كثيرة في الرواية "يتمددون على غطاء أو على جلد خروف" [2] "نهضت عيني وحملت جلد الخروف الذي كانت جالسة عليه، وقعدت إلى جانب جارتها "[3] ، فمن هنا نلاحظ أن جلد الخروف كان ثقافة مادية يتمتع بها أهل الدار الكبيرة وكانوا يستخدمونها في الجلوس والنوم عليها.

2-4 اللباس التقليدي

* **الحايـــك** : هو قطعة من القماش ترتديه المرأة لتستر رأسها ووجهها وسائر جسدها ، شائع الاستعمال في كل أناء الجزائر والمغرب العربي، ومازال حاليا يلبس في المناطق البعيدة عن المدن خصوصا كبار النسوة أو المسنات: "وجلست "لالا" متلففة بحايكها الواسع المصنوع من صوف أبيض، وأخرجت من الدكة التي تحزم خصرها منديلا جففت به وجهها"[4]. ، فالحايك له ميزة خاصة لدى المرأة الجزائرية للتدليل به والحياء والسترة

والسلام ، ورغم إندثاره يبقى الحايك اللباس التقليدي الوحيد الأنيق ذو اللون الأبيض الذي يدل على الإسلام والسلام والسلم، فالحايك يمثل للمرأة الجزائرية الأصالة والعراقة.

1 محمد ديب ، الدار الكبيرة ، ص47

2 المصدر نفسه ، ص47 .

3 المصدر نفسه ، ص48.

4 المصدر نفسه ، ص68.

2-5 المأكولات الشعبية

* **العكـوب:** أو الخرشف هي نبات جبلي ينمو في المناطق الجبلية ، ويتواجد بكثرة في بلاد الشام، تتواجد أنواعا عدة منها المتعارف عليه بكثرة الجبلي، ومنه الوردي والأرضي والأرجواني، يتم قطف العكوب من قبل المزارعين ، وقد يواجه البعض الصعوبات في قطفه لأشواكه الحادة الذي يعلو أوراقه، وورد هذا في الرواية : "كانت "عيني" تقشر عكوبا بلديا قصيرا شائكا "[1]، فالعكوب أو الخرشف هو من المأكولات الشعبية الجزائرية المفيدة ، ويستخدم كثيرا في طبق الكسكسي في الجزائر .

* **الكسرة** : من الأنواع التقليدية للخبز التي تصنع في البيوت، وهي من المأكولات السائدة في الجزائر وفي مختلف مناطقها ، ومن بينها تلمسان حيث نجدها في مواضع مختلفة في الرواية ، ويتم تحضيرها بطريقة بسيطة ، بحيث يتم خلط الدقيق والزيت والماء مع بعضهم ثم يضاف الملح على عجينة متماسكة ، تبسط باليد داخل القصعة وتوضع على الطاجين لتطهى على الجهتين ، وردت الكسرة في الرواية من خلال " ... وهي ذاهبة إلى المقبرة لتحمل إليهم الكسرة من الخبز اليابس "[2]

* **الفطـائر** : وهو نوع من الحلويات التي تعرف رواجا كبيرا عند أهل منطقة تلمسان في الأيام العادية وفي المناسبات كالأفراح، ويتم تحفيزها من الدقيق والخميرة والماء، ويترك العجين يخمر جيدا حتى يتضاعف حجمه ثم يطهى في مقلاة كبيرة فيها زيت ساخن وهذا ما أورده إدموند ديستان وبن حاجي سراج في قولهما : "يخلط السميد بالماء والملح والزعفران في قصعة كبيرة ، ويعالج حتى يصبح عجينا، وتخمر العجينة مدة ساعتين أو ثلاث ، ثم يتم قليها في الزيت"[3] ، كما ذكر الكاتب هذا النوع من الحلويات في الرواية من خلال : "كان يعرض كذلك فطائر ومربات"[4] ، وهنا يتبين لنا قيمة الفطائر عند أهل منطقة تلمسان وأهل الدار الكبيرة في الرواية .

1 محمد ديب ، الدار الكبيرة ،ص 17.

2 المصدر نفسه ،ص51

3 دموند ديستان وبن حاجي سراج، بني سنوس في النصف الأول من القرن العشرين ، عناصر من الثقافة الشعبية ، دار الغرب للنشر والتوزيع ، وهران، 202، ص 18.

4 المصدر نفسه ، ص18

* **الرغيف** : وهو أيضا نوع من الخبز التقليدي الذي نجده متوفر في الأسواق الشعبية يشبه الكسرة في طريقة تحضيره وهو قريب الشكل إلى الكسرة المطلوع، ونجد محمد ديب قد استخدم كلمة رغيف في الرواية من خلال : "ووصل عمر لإلى الفرن ، ما أشد فرحته برؤية الأرغفة ممدودة فوق الأرض على ألواح الخشب وصفائح من معدن تنتظر أن يدسها في الفرن"[1].

وقوله أيضا : "أن يعود إلى البيت بالرغيف "[2] وهنا يتبين لنا قيمة الرغيف عند أهل الدار الكبيرة ، فالرغيف يمثل ثقافة شعبية متميزة وإعداده يختلف من منطقة إلى أخرى .

2-6 الأواني المنزلية :

***الكانون:** وهو أحد أنواع المواقد يكون عادة في الأرض يصنع من الحجر أو الطين يوقد فيه الحطب أو الجمر ويستعمل من أجل التدفئة والطهي وقد ورد الكانون في الرواية من خلال قول "ديب" : "وضعت في وسط الغرفة "كانونا" مليئا برماد الفحم"[3]

وهنا يتبين لنا ان الكانون يمثل مادة أساسية في البيئة الشعبية التقليدية الجزائرية ، وكان يوجد في كل بيت من بيوت الجزائريين وذلك لأهميته ، وبالرغم من اندثاره في يومنا هذا إلا أنه مازال موجود في الأرياف والفرن الجزائرية .

* **المائدة (Maida)** : عبارة عن طاولة مستديرة منخفضة تأكل عليها الأسرة الجزائرية ، وقد ورد هذا في قوله : "وقد أمام القاعدين أمام المائدة ، وأخذ يراقب أمه وهي تقطع الخبز على ركبتيها"[4] ، فالمائدة إذا ترمز في الثقافة الشعبية إلى اللمّة فهي تجمع العائلة في نهاية اليوم وهي تدل على التماسك والتواصل وعدم فقدان هذه العادة التي هي مصدر أساسي لكي تجتمع الأسرة مع بعضها البعض .

1 محمد ديب ، الدار الكبيرة ، ص141.

2 المصدر نفسه ، ص141.

3 المصدر نفسه ، ص29.

4 المصدر نفسه ، ص148

تعج الرواية بالتعابير العربية ذات اللهجة الجزائرية ، فنجد منها : "سخانة كحلة تاكلك ، يا عمي قدور الله يحفظك ، أرواح أعطيني الخبز ، الله يرزقك ويبعثك لمكة "[1]

، فهنا نلاحظ أن "محمد ديب" قد استخدم في روايته اللهجة الجزائرية مما يدل على تمسكه بثقافته العربية الإسلامية .

1 محمد ديب الدار الكبيرة ص42

المبحث الثاني : التراث الشعبي في رواية الحريق

1- ملخص رواية الحريق Incendie

في صيف 1929 توجه *عمر *برفقة جارته *زهور *إلى الريف وبالذات إلى منطقة بني بولان التي تبعد عن تلمسان حوالي ثلاث كيلومترات ، حيث توجه معها غلى منزل أختها المتزوجة في تلك المنطقة برجل يدعى (قرة علي) إذ قضى شهور الصيف كلها هناك، وهناك تعرف على عدة شخصيات ساعدته على معرفة أمور كثيرة حول الريف ، وهذه الشخصيات هي الفلاحين مثل : بن رباح، باعدوش، قره علي، بن أيوب، حيث شهد عمر هناك عدة أحداث .

وفي هذه المنطقة التقى عمر أطفالا بمثل سنه ولكنهم أشد منه بئسا وأكثر تخلقا، إضافة إلى الشخصية الأكثر التي تعلق بها عمر وهو الكومندار ، وهو إنسان قد بُترت ساقاه في الحرب ، فحدّث الكومندار عمر عن نفسه ، وعن الواقع المحيط به وعن أحلامه ورؤاه وألمه الدفين، وهؤلاء الفلاحون كانوا يجتمعون بين لحظة وأخرى فيطيلون الاجتماعات والكلام والمناقشة حول الواقع الجزائري، كما أنهم كانوا يتحدثون عما جرى لهم في هذه المنطقة ، وكيف كانوا يعيشون منذ مدة وكيف صاروا بعد أن سلب منهم الفرنسيون أملاكهم ومنحوها للمستوطنين ، لا وبل جعلوهم خداما عليهم أو طردوهم في بعض الأحيان ، وتلك الاجتماعات التي كانوا يقومون بها أصبحت مع مرور الزمن عملا منظما بعد أن قدم إليهم حميد سراج المناضل الثائر الآتي من مدينة تلمسان، حيث دعاهم إلى القيام بإضراب لكي يوقفوا المعاناة التي يتعرضون له، غير أن السلطات الفرنسية وبعد قيام الفلاحين بإضراب قد عرفت أن المعرضين على هذا الفعل هو حميد سرّاج، فانتهى به الأمر إلى القبض عليه من طرف السلطات وسجنه وتعذيبه ، وأثناء تحقيق السلطات في ذلك الإضراب وبالضبط أثناء استجوابها للفلاحين ، كانت تسألهم من هو المحرض فأجابوا بأنه البؤس والشقاء ، وبعد ذلك حاول المستعمرون إغراء الفلاحين بالمال مقابل عزوفهم عن هذا الإضراب ، وكذلك الوعد بكثير من الأمور الأخرى غير أن الفلاحين رفضوا كل ذلك .

في ليلة ما شب حريق في أكواخ الفلاحين الذي يعملون في المزارع الفرنسية انتقاما وبطشا وقضاء على التمرد ، وهذه النار الصغيرة كانت بداية لنشوب نار كبيرة في كل الأقطار الجزائرية، ثم يعود في آخر الصيف عمر إلى منزله الدار الكبيرة وها هو يُعلم أمه عن انتهاء العطلة وأن العودة إلى المدرسة قريبة ، لذلك هو في حاجة إلى ملابس نظيفة ، وبذلك فالأحداث الأخيرة لهذه الرواية دارت في الدار الكبيرة محاولة التحدث عن تلك الأسرة الفقيرة وعن محاولة الأم إيجاد عمل لكي تعين أولادها لكنها تفشل في ذلك بسبب الحرب .

2- توظيف التراث في رواية الحريق

تمثل رواية الحريق الجزء الثاني من ثلاثية محمد ديب ، حملت في طياتها مأساة الفلاحين في منطقة تلمسان (بني بولان) ، عالجت قضايا الجوع والبؤس والقهر الذي يعانيه الشعب الجزائري خلال الفترة الاستعمارية .

لم تختلف رواية الحريق عن سابقتها "الدار الكبيرة" من حيث الموضوع فقد تناولت هي الأخرى التراث الشعبي مما يدل مرة أخرى على أن "محمد ديب" يؤكد على مسألة التمسك بالهوية التي تجسدت هنا في التراث الشعبي ، فنقله لنا بأمانة من خلال :

2-1 المعتقدات الشعبية

***صفة التقديس** : تميز بها الفلاحون من خلال تقديسهم "للسيد علي" : "كان سيد علي رجلا يحترمه أهل المنطقة ويقدرونه ، يصلح بين زوج وزوجته ، كان يتولى الفصل فيها، أمور تتصل بالشرف ، وكانت آراؤه ناضجة واعية فكان الناس يأخذون بها عامة ويحمدون الله على أنه رزقهم رجالا مثله يرشدونهم إلى جادة الصواب"[1] فالفلاحون كانوا يقدسون "سيد علي" وجعلوه في مرتبة القاضي الحكيم يهتدون إليه إليه ليرشدهم إلى الطريق الصواب وهذه السمة مازالت متوفرة ومنتشرة إلى يومنا هذا رغم نقصانها ، فالرجل الحكيم والعالم عادة ما يكون ذو مكانة رفيعة لدى فئة الشعب وكلامه مسموع عندهم .

* **الاعتقاد بالأشباح** : "هذا الشبح الهائل الذي نزل نزول الصاعقة ، هذه هي القوة المتلمسة الهائجة، هل يدري أحد كيف هبطت "[2] وهنا يتراءى لنا أن الفلاحون كانوا يعتقدون بالأشباح فأضفوا عليها صفة القداسة خصوصا لدى أهل الريف ، فيروون عنها قصصا وأحجيات ، وقد تجلت في الرواية من خلال قول ديب: "فكان وهو عار بغير سلاح في السجن، يمضي في الليل، فيلقي أرواحا خبيثة تهاجمه وترهقه وتسخر منه "[3].

1 محمد ديب: الحريق، تر : سامي الدروبي، دار الهلال ، 1970 ،مصر، د ط ، ص 75

2 محمد ديب ، الحريق ص94

3 المصدر نفسه ص105.

وفي هذا دليل على اعتقاد الفلاحين بها، فهي الفئة الأكثر تأثرا بالأرواح والأشباح ، ولعل ذلك يعود للاستعمار الذي كان يوهم الطبقات الشعبية الجزائرية بوجود هكذا أمور لكي يبعدهم عن واجبهم اتجاه الثورة ، ونجد ذلك في قوله : " لقد دوى الصوت من بعيد ، الأرواح هي التي تضيء الآن "[1]

2-2 العادات والتقاليد :

***النحيب** : هو صوت الإنسان عند بكائه فوق الحُنين وهو بكاء شديد . أو تنفس سريع عنيف متقطع مصحوب بالبكاء ناتج عن انفعال يقول "ديب" في روايته : "انتحب النساء في البيتين انتحابا طويلا ، وبكين وهن يلطمن أفخاذهن حزنا وحسرة، وترددت أصداء صيحاتهن في الجبال تمزق الهواء ، وعلم النساء بالنازلة التي حلت"[2] ، وقد تلجأ بعض النساء في هذه الظروف إلى الإسراف في التظاهر بالحزن كتلطيم الخدود والصدور والإندفاع في الاستجابات العاطفية كالعويل والبكاء والصراخ ، كالبكاء على مكروه حل بالشخص ، فتبدأ النسوة بالنحيب والبكاء بصوت مرتفع مصحوب بكلمات ، والنحيب موجود إلى يومنا هذا في القرى والأرياف الشعبية الجزائرية ، كما تجلى النحيب والندبة في الرواية من خلال قول : "كان بعضهن يطلق اللعنات مصحوبة بعويل وصراخ : أي ...أي ... ويضاعف لطم الصدور بالأيادي "[3]

2-3 اللباس التقليدي :

* **البرنوس أو البرنس:** لباس تقليدي جزائري يرتديه الرجال والنساء والرجل مع وجود بعض الاختلافات ، وكان في القديم شاسعا أكثر من الوقت الحالي، حيث ترتديه المرأة عند خروجها من بيت أبيها متجهة إلى بيت زوجها سواء فوق الفستان الأبيض، ويكون البرنوس باللون الأبيض ، يوضع على الكتفين مطروزا على الجوانب سواء بالخيط أو بالرسم، أما الرجل فيكون البرنوس بالنسبة له رمز للشهامة والقيمة والشموخ حيث يرتديه بلونه الأبيض ، فالبرنوس منتشر بكثرة في مناطق الهضاب والقبائل والغرب الجزائري مثل تلمسان التي لازالت تحافظ على عاداتها وتقاليدها مع مرور الزمن رغم ثقل وزنه فهو مصنوع من الصوف ، يضم غطاء رأس مذبب .

---

1 محمد ديب ، الحريق ، ص107

2 المصدر نفسه ص117.

3 المصدر نفسه ص 108.

وتجلى هذا اللباس التقليدي في الرواية من خلال : قول ديب: "هذا البرنس العتيق هو ردائي الذي اشتريته ، وغطائي الذي ألحقته"[1] ، فالبرنوس يمثل ثقافة منطقة تلمسان ، كما يدل على الشهامة والعظمة والزينة .

2-4 المهن والحرف اليدوية :

* **مهنة الفلاحة** : تعتبر خدمة الأرض في منطقة تلمسان من أهم الأعمال الأساسية التي تساعدهم على توفير حاجياتهم الضرورية الاجتماعية والاقتصادية ، فهي الثروة الوحيدة التي يعتمدون عليها بكثرة، لذا نجدهم في الرواية متمسكين بها أبا عن جد ، إذ أن مسألة الأرض تشكل في الواقع مصير كل فرد ، ومن المعروف أن الفلاحة من الفنون الشعبية المتواجدة بكثرة في منطقة تلمسان ، فهي تنتج عدة محاصيل شتوية كانت أم صيفية كونها قد لعبت دورا بارزا في الثقافة الجزائرية إبان الفترة الاستعمارية كونها مثلت مصدرا أساسيا للشعب الجزائري ، وكانت منتشرة كثيرا في القرى والأرياف .

تجلت قيمة الفلاحة في الرواية من خلال قول "محمد ديب" : "هذه الكهوف التي يعصرون فيها العنب وهذه العنابر التي يخزنون فيها القمح والشعير ، لا شك أن أجدادك لم يتصوروا مثلها"[(2)] ، إذ تعد الفلاحة (الزراعة) القيمة البارزة في رواية (الحري) كونها تمثل المصدر الوحيد للشعب في تلك الفترة ..

2-5 العمران :

تميزت منطقة تلمسان بطابعها العمراني الفريد وبسماته الخاصة التي تعد جزءا أساسيا من الفنون التشكيلية الشعبية، فالمجتمعات التقليدية محافظة على نمطها العمراني إلى يومنا هذا، فالمنازل الشعبية تتمتع بقدرة كبيرة على إشباع حاجات الناس المادية، وتوظيف خيالهم وتنظيم فكرهم وشعورهم ، وهدفه ليس التعبير عن العالم الحسي بقدر ما هو إنشاء عمل مميز من حيث النضج الفني ، وهذا ما يؤكده الحيدري بقوله: "إن هدفه ليس التعبير عن العالم المرئي فحسب، بل هو تكوين أشياء تلبي حاجات الإنسان العلمية، ولذلك فإن كل عمل معماري كامل القيمة وككل عمل تطبيقي هو في نفس الوقت تركيبي فني وخلق وإبداع"[(3)]

ومن الواضح أن "محمد ديب" شديد التأثر بمدينة المنصورة، وهي منطقة متواجدة بتلمسان ، وقد تجلى هذا التأثر في قوله : "مدينة المنصورة التي لا تزال نرى جدرانها سورها، ولا تزال نرى برجها المغربي، صحيح أن

1 محمد ديب الحريق ص 130

2 المصدر السابق ، ص 11-12

3 إبراهيم الحيدري: أنثربولوجيا الفنون التقليدية، ط1، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية ، سوريا، 1984، ص 118

تلمسان مدينة قديمة : فالبيوت فيها هرمة، يرجع عهدها إلى مئات السنين"[1] ، وهو ما أكسبها قيمة عمرانية في الثقافة الشعبية كونها تمثل تراث الأمم والشعوب، هنا يبرز الكاتب قيمة منطقة المنصورة باعتبارها جزءا من تلمسان وما تزخر به من ثقافة متنوعة وتراث مادي في الثقافة الشعبية الجزائرية.

2-6 المأكولات الشعبية :

* **طبخ الذرى** : ويتجلى هذا في قول الكاتب : "وأخذت الغطاء من يديه وحركته تحريكا قويا فوق الموقد فتأججت النار ، وأخذت الذرة تفرقع بسرعة ، غطست العرانيس بعد ذلك في ماء مملح بضع لحظات ثم سحبت ...، وأخذوا يعضونها فامتلأت بحباتها أفواههم فورا، إنهم يقضمونها ، فيحسون بمذاقها ملحا ودقيقا وشواء في آن معا" [2]، فالراوي هنا قيمة الذرى فهي المصدر الرئيسي للعيش في الأرياف الجزائرية قديما، إضافة أنها ترمز للأرض وما تخرجه ، مازالت هذه الخاصية متوارثة إلى يومنا هذا لدى المجتمعات الريفية .

2-7 الأمثال الشعبية :

تعد حصيلة كاملة لمعارف الشعوب وخبراتهم فهي التي تسجل النماذج والأنماط والمثل، وهي وإن رددها الأفراد لتبرير موقف أو التخلص منه أو التهوين بالفشل فإنها من أهم الوثائق التي تكد تقارب الجماعات والشعوب إذ تماثلت في مراحل التطور أو الحضارة ، فالأمثال امتداد لتساؤلات الإنسان القديم ، حيث أن هذه التساؤلات حفزت الإنسان إلى اكتشاف هذا النوع القديم من أنواع الأدب الشعبي، وقد وظف "محمد ديب" الأمثال الشعبية في الرواية في قوله: "من حفر حفرة لأخيه وقع فيها"[3] ، فهذا المثل الذي جسده الراوي في روايته هم من أشهر الأمثال المتداولة والمعروفة وسط الفئة الشعبية لما يدل من قيمة إنسانية تحذر الإنسان وتعظه بأن لا يقدر بأخيه الإنسان لأن في ذلك مضرة لكليهما وأن المنتقم لا يكون قد انتقم في الحقيقة إلا من نفسه، والغدر صفة ذميمة لدى كل الشعوب لما فيها من مضرة للناس .

1 محمد ديب ، الحريق ص11-12

2 المصدر نفسه ص21

3 المصدر نفسه ص43.

2-8 الألغاز الشعبية :

من الأشكال الأدبية القديمة، واسع الانتشار والتداول بين الناس، ومع مرور الزمن أصبح يطلق في العامية ويراد به الأحجية، ويكون لاختبار الفطنة والذكاء، وقد وظفه الكاتب في روايته في قوله : "صفراء ذابلة تلفها غلف ، ماهية"[1] ، ويوحي هذا اللغز على الذرة وقيمتها لدى أهل القرية .

"عندي بيت من حديد في داخله عبيد"[2] ، ويوحي هذا اللغز إلى البطيخة، فالألغاز الشعبية تعتبر من الثقافة الشعبية التي تمتاز بها الشعوب وتختلف من منطقة إلى أخرى حسب لهجات المناطق ، فقد استخدمها الراوي هنا حسب لهجة منطقة تلمسان .

2-9 الألعاب الشعبية :

ظاهرة من ظواهر النشاط الاجتماعي لدى شعوب الأرض قاطبة، وهي إرث شعبي تتعاقب عليه الأجيال ، وقد مارس الإنسان القديم الألعاب عفويا، ووظفها لتكون أداة من أدوات الاستمتاع والترويح عن النفس، وهي أيضا نشاط بدني وحركي وذهني مستمدة من البيئة ، لها جذور تراثية نابعة من الفرد دون إجبار خارجي ، يحقق لذة للممارسة ومتعة للمشاهدة ولا يتطلب قوانين معقدة ، وتجلت الألعاب الشعبية في الرواية من خلال قوله: "ابتعدوا ويثبون بعضهم على ظهور، وثبة بعد وثبة، لاعبين لعبة "سبت سبوت"[3] ، ومن هنا يتراءى لنا أن هذه اللعبة تستخدم الوثب في لعبها .

2-10 الأغنية الشعبية :

رافقت دورة الحياة من الولادة إلى الموت، فصورت فرحة الحياة باستقبال المولود الجديد ، والمثل التي تريد أن يتشبث عليها الأفراد، وهي تصور الفرحة بالمحافظة على نوع من الأعراس وتصويرها للحزن على افتقاد الأهل والأصدقاء، كما تعين على مواجهة العمل والغرس والحصاد والبناء، وتصاحب العواطف الدينية مثل الحج والموالد (زيارة الأولياء) وتستعين بالآلات الموسيقية استعانتها بالحركة والإشارة والإيقاع، وتجلت الأغنية الشعبية في الرواية من خلال قول الكاتب: "يا ياما يا دميمة يا ياما يا دميمة"[4]

1 محمد ديب ، الحريق ،ص20
2 المصدر نفسه ،ص21
3 المصدر نفسه ،ص16
4 المصدر نفسه ،ص24

وهي أغنية شعبية قديمة ، "ويبدو أن عنوان الأغنية الحقيقية هو "ماما قرمولة" وقد استبدله "ديب" هنا بدميمة، وهو اسم لخادمة دون كيشوت البخيلة ، وقد وظف هنا لحاجة الفهم"[1] ، كما نجد أيضا أغنية أخرى في الرواية : "ماذا جرى لك يا حصاني، يا حصاني..إيه حصاني.. إيه حصاني"[2]

1 فتيحة عاشوري ، المصالحة و التسامح عند محمد ديب ، بين المحلية و الوطنية ،ص101

2 محمد ديب ، الحريق ص17.

المبحث الثالث : التراث الشعبي في رواية النول

1- تلخيص رواية النول

النول هي الجزء الثالث والأخير من الثلاثية، ولئن كنا قد رأينا صورة عن حياة الأسر الفقيرة البائسة وعشنا معها من خلال شخصية عمر في رواية "الدر الكبيرة"، ثم انتقلنا مع البطل نفسه في رواية "الحريق" إلى الريف فاطلعنا على الواقع البائس واستغلال المستعمرين وأصحاب الأراضي للفلاحين، إن رواية النول تعود بنا مع البطل إلى المدينة، مدينة تلمسان لتصور لنا قطاعا آخر هو قطاع العمال، وترسم لنا واقعهم الاجتماعي والاقتصادي، وما يدور في ضمائرهم، محاولة بذلك إتمام الصورة العامة للجزائر إبان الاستعمار الفرنسي .

في هذه الرواية يعود بنا المؤلف إذا إلى تمسان وإلى الدار الكبيرة نفسها التي كانت موضوع الجزء الأول، إلا أنه لا يتوقف عندها إلا لحظات، فما من شيء قد جدّ في حياة الدار، وما من شيء في بؤس أسرة البطل أو أسر جيرانه قد تغير، فأختاه لا تزالان تعملان في المصنع، وأمه تزداد شقاء على شقاء فلا يتاح لها أن تدبر معاش الأسرة إلا بشق الأنفس، أما فتاته "زهور" التي فُرض عليها الزواج فرضا، فقد عادت في هذه الرواية إلى أسرتها في الدار الكبيرة، لقد أخفق زواجها وتركت زوجها بعدما قاست ما قاست، وإذا عدنا إلى هيكل الرواية وجدنا محمد ديب يقيم بنية رواية النول على حدثين أساسيين: أولهما عمل عمر في معمل النسيج، وهذا ما أعطى الرواية عنوانها والثاني ظهور جموع غفيرة من المتسولين اجتاحوا المدينة وشكل ظهورهم ظاهرة غريبة، وهي تضفر هذين الحدثين ينقل إلينا الواقع الحي في أرض الجزائر .

ترك "عمر" الدراسة إلى الأبد، وأمضى شهور الصيف في "بني بولان" وها هو ذا الآن في تلمسان وقد بلغ الخامسة عشرة من عمره ولابد له من أن يعمل، وكان على أمه "عيني" أن تسعى لإيجاد عمل له ولهذا فقد قصدت منزل "ماحي بوعنان" والتمست منه أن يساعد ابنها اليتيم ، فأمرها أن ترسله إلى معمله ، وبين دخول عمر المعمل خرج من العمل مطرودا إثر مشاجرة دامية مع" حمدوش" أحد العمال، يبسط الروائي أمامنا صورة واسعة عن حياة العمال وبؤسهم وسلوكهم ، ويعرض نماذج عديدة منهم ، وشخصيات متمايزة متباينة تعكس بمجملها الحياة في الجزائر، وما يعتمل في أعماقها من اتجاهات فكرية وما تنطوي عليه من بؤس واستغلال ورؤى وأهداف ومشاعر ونقمة ورغبة في الثورة والتحرر.

إن المدينة القديمة التي كانت مدينة أصحاب حرف، فقد تحولت الآن إلى مدينة صناعية وتكاثرت المعامل تكاثرا مباغتا.

في هذا الجزء من الثلاثية تتضح رؤية الواقع وتتعمق ويظهر منظور الروائي الاجتماعي وأسلوبه الواعي على نحو عميق حاد، ذلك بأن محمد ديب قد ألح في هذا الجزء إلحاحا كبيرا على تصوير قسوة العمل واستغلال العمال وأثر الوجود الاستعماري على نفوس الناس .

2- توظيف التراث في رواية النول

2-1 العادات والتقاليد :

* **الضيافة والكرم** : وهي من العادات التي تلمسها في الرواية ، ويتجلى ذلك في قول "ديب" : "هؤلاء إخوتنا دما، وضيوف أرسلهم الله إلينا ، فأهلا بهم وسهلا، ولسوف نستقبلهم ولو لم يكن في بيتنا ما نقدمه إليهم غير الماء، وسيفهمون أنّ بنا من الفقر والعوز مثل الذي بهم تقريبا"[1]

وقد انتشرت هذه الصفة في العديد من الأماكن ومازالت منتشرة إلى يومنا هذا وهي ميزة يمتاز بها الشعب الجزائري، وخصوصا منطقة تلمسان .

* **الندبــة** :سبق وأن أشرنا إليها ، فقد استعملها الراوي في كل أجزاء الثلاثية تقريبا، وفي هذه الرواية أيضا، ويتجلى ذلك في قوله: "كانت عائشة جالسة وسط عدد من النساء تحلقن في الفناء تحت الرواق، وقد أخذت تلطم صدرها وذراعيها ووجهها وهي تنتحب، كانت الدموع تسيل على خديها المخدشين"[2] .

وهذا دليل آخر على استعمال هذه العادة بكثرة في الأرياف والقرى قديما ، ومازالت منتشرة إلى يومنا مع العلم أنها قلت مع مرور الزمن، بحكم وعي الشعب لتحريم الإسلام لها من خلال انتشار التعليم ...

1 محمد ديب : النول، تر: سامي الدروبي، دار الهلال ، 1970،مصر، د ط ، ص 73.

2 المصدر نفسه ، ص 65

2-2 اللباس التقليدي :

***العباءة أو الملاية المصحوبة بالعجار:** هي قطعة قماش سوداء ترتديها المرأة فوق الملابس العادية عند الخروج من المنزل وتلبس العباءة عادة مع الحجاب وتتوفر غالبا باللون الأسود، وقد وردت العباءة في الرواية من خلال قوله: "عباءته المصنوعة من لباد أزرق شاحب، المزينة بالضفائر"[1] ، فالعباءة تمثل لباس تقليدي يتميز به أهل منطقة تلمسان وعلى الأغلب يطلق عليها في الشرق الملاية المصحوبة بالعجار.

* **الشاش** : هو قماش رفيع شفاف كثير الثقوب مصنوع من القطن أو الحرير، أو الخيوط، تنسج خيوطه بطريقة خاصة، تدعى النسيج الشاشي، تكون خيوط السداة مزدوجة دائما، تلف خيوط الطول المزدوجة بعضها ببعض كلما مرت بخيوط اللحمة وفي هذه الحالة، تكون الخيوط قد أبقيت متباعدة على مسافة ثابتة، وقد ذكر ديب في الرواية في قوله : "أن وجهه المحاط بشاش ناصع البياض يغطي أذنيه"[2] ، فالشاش يمثل قيمة عظيمة في منطقة تلمسان ، فهو يعبر عن لباسهم التقليدي وخاصة في فصل الشتاء.

* **العراقيــة أو الطربوشة** : توضع فوق الرأس، تعبر عن ثقافة الأجداد وقد ورد ذكرها في الرواية بقوله: "كان قد نض عن رأسه طربوشه المصنوع من أحمر اللباد، ووضعه إلى جانبه معرضا للهواء جمجمته الصلعاء من الجبين حتى القذال"[3]

وكل هذه الألبسة التقليدية تمثل ثقافة شعبية وظفها "ديب" ليبرز خصوصية أهميتها لدى الشعب الجزائري كونها رموزا سامقة لهويتنا .

2-3 مهنة النسيج :

من أقدم الحرف التقليدية التي مارسها الإنسان في المجتمع التلمساني التقليدي، لا يخلو بيت من البيوت التلمسانية من آلة النسيج ، تقوم هذه الآلة بعملية النسيج على عدة مراحل تبدأ بتحضير الصوف وتنظيفه من الشوائب ثم تليه عملية التقرديش والتصفية ، فالنسيج هو بنية مسطحة تتكون من خيوط وألياف ، وقد يتكون أيضا من أصبغة وملونات، وقد تكون الخيوط مكونة من ألياف طبيعية .

تصنع الخيوط بغزل ألياف الصوف الخام، أو الكتان، أو القطن أو الحرير، وتشير كلمة النسيج في الأصل إلى النسيج المنسوج، ولكنه الآن يشمل أيضا القماش المحاك، فقد وردت مهنة النسيج أو الحياكة في الرواية في

1 محمد ديب ، النول ، ص94
2 المصدر نفسه ، ص53
3 المصدر نفسه ، ص46

العديد من المواضع من خلال قوله : "الحائكون يتحركون ذات اليمين والشمال في العتمة المتلبدة"[1] ، وقوله أيضا : "إن الحائكين يقومون بعملهم في حركات سريعة "[2] ، وبهذا تتجلى مهنة الحياكة المتمثلة في حياكة النسيج .

إذ تعد قيمة النول (مهنة النسيج) الموضوع البارز في هذه الرواية، حيث رصد "ديب" لنا معاناة وشقاء هذه الفئة خلال فترة الاستعمار .

2-4 المأكولات الشعبية :

***الحريرة** : نوع من أنواع المأكولات الشعبية المنتشرة في الغرب الجزائري وخاصة منطقة تلمسان وهي نوع من الحساء وما يصطلح عندنا في الشرق "بالشربة" ، وقد ورد هذا النوع من المأكولات الشعبية في الرواية من خلال قول الكاتب: "هل في المطعم حريرة"[3] ، وهذا دليل على انتشار هذه الأكلة بكثرة وسط البيئة الشعبية التلمسانية .

2-5 الآلات الموسيقية :

* **آلة الناي:** آلة موسيقية هوائية أساسية ، يصنع الناي من نبات القصب البري وهو عبارة عن قصبة جوفاء مفتوحة الطرفين، وقد استخدم الناي منذ القدم ، فقد استخدم البابليون هذه الآلة، وعلى نوعين القصير والطويل، يتكون من تسع عقل بها ستة ثقوب على استقامة واحدة، وثقب آخر من الخلف .

وقد استخدم "محمد ديب" آلة الناي في الرواية في قوله : "هيا اعزف على الناي في الطرقات، فذلك أنجح لك، أما هنا فالناس جميعا أهل جد"[4]، وهذا دليل على أن آلة الناي كانت منتشرة منذ القدم في الثقافة الشعبية الجزائرية .

1 محمد ديب ، النول ،ص88

2 المصدر نفسه ، ص38

3 المصدر نفسه ، ص39

4 المصدر نفسه ، ص55.

2-6 الأواني للتقليدية :

* **القادوس** : "صب على رأسه قادوس ماء بارد"[1] ، فالقادوس هو وعاء خزفي كالجرة، تنتظم منه ومن أمثاله سلسلة تديرها الناعورة نتغرف الماء من البئر إلى المزرعة وهو وعاء كبير قمعي الشكل يلقي فيه الحبّ فينزل منه حبات إلى الطاحون وقد استعمله الكاتب في روايته لما له دلالة عميقة في الثقافة الشعبية وهو دليل على البيئة الريفية التي كانت منتشرة خلال الفترة الاستعمارية .

2-7 المشروبات الشعبية :

* **الشـــاي:** "رشف حمدوش رشفة صاخبة من الشاي، إن حمدوش يأكل مع الشاي خبزا، وعاد يصب الشاي في الكأس حتى ملأها"[2] ، فالشاي أحد أشهر المشروبات الساخنة وهو منتشر في كامل بقاع العالم، يقال أن مصدره الصين، وقد استخدمه "ديب" في روايته لما له من أهمية كبيرة لدى الفئة الشعبية ، ولدى أهل منطقة تلمسان خصوصا، فهو في هذه المنطقة يعتبر من المشروبات الأساسية، وما يدل على ذلك أنه له تمثال في منطقة مغنية وهو عبارة عن إبريق الشاي، وهذا إن دل إنما يدل على الأهمية التي يحتلها الشاي في هذه المنطقة.

مماسبق قوله أن محمد ديب رسم بثلاثية متكاملة للحياة في الجزائر في شتى جوانبها الشعب في مختلف طباقاتهم ، فبرهن عن قدرة تصويره وبراعة نقله للواقع المعيشي، كما برهن عن رؤية صادقة دقيقة للواقع وتفسير عميق له، فكانت رواياته الثلاث صرخة احتجاج على الاستعمار وللبؤس الإنساني، ورفضا للظلم دون أن ننسى أن الراوي كان متشبعا بالثقافة التراثية لبلاده العربية الإسلامية، وذكر مختلف جوانب تراث أمته ووظفها في روايته و الملاحظ أيضا في ثلاثية محمد ديب انه ركز كثيرا على الهوية وظل محافظا عليها و هذا ما تجلى في ثلاثيته.

1محمد ديب ، النول ، ص 110.

2 المصدر نفسه ص141

الخاتمة

خاتمـــة

عمد بعض الروائيين في العقود الأخيرة إلى توظيف التراث في الرواية الجزائرية المعاصرة، وعلى رأسهم "محمد ديب" بهدف تأصيل الرواية وتخليصها من أسر الرواية الغربية من جهة، وإعادة قراءة التراث من جهة أخرى ، فهو أحد الأدباء الجزائريين الأكثر تأثيرا بالتراث الشعبي، مما جعله يوظفه بكثرة في رواياته، لكن ليس كمادة خام وإنما على العكس، فقد أعطى صورة جديدة ، لهذا التراث من خلال إعادة خلقه وبعثه، كما عبر من خلال توظيف للتراث عن الواقع المعاش، فأكد استمرار الماضي في الحاضر، حيث قدم صورة واضحة عن نمط التفكير في المجتمع الجزائري خاصة في مدينة تلمسان .

و بعد الدراسة التي خضناها في رحاب التراث الشعبي توصلنا إلى أهم النتائج التي ندرجها في مايلي :

أ- أسهمت أشكال التراث الشعبي من عادات وتقاليد ومعتقدات شعبية وغيرها في توطيد الصلات بين أفراد المجتمع وربطه بقيمه الاجتماعية، النفسية وكذا الفنية، فهي لم تكن مجرد تعبير عن رغبة الإنسان فحسب بل هي انعكاس لحياته الواقعية مادامت سنة الحياة متجددة ومستمرة .

ب- إن التوجه إلى التراث الشعبي والاستعانة في تشكيل معالم النص الأدبي، لم يكن وليد العبث الفكري، وإنما كان للحاجة الملحة، فقد وجد الأديب في النص الشعبي النموذج والمثال والملجأ الذي يعبر بواسطته عن جراح الذات والجماعة وتصدعات الواقع: فالموروث الشعبي ثمين ورصيد حضاري وثقافي شامخ ، وصورة عن معتقدات شعبنا ، وتقاليده وتجاربه الإنسانية ومعاملاته في أفراحه وأحزانه واهتمام الأدباء به وعنايتهم به دليل على التمسك بالأصالة واعتزازهم به.

ج- تبقى الرواية من أهم الأشكال الفنية المميزة التي تستطيع أن تحتوي مظاهر التراث المختلفة و تعطيه أبعادا فنية و جمالية على غرار الأجناس الأدبية الأخرى التي وظفته و هذا ما لمسناه في "الثلاثية"في جملة من المظاهر التي تكمن في:المعتقدات ،العادات،التقاليد،الأمثال،الحكاية الشعبية.

د- كشف الموروث الشعبي بطريقة غير مباشرة عن الصراع الداخلي الذي تعيشه فئات المجتمع.

هـ- نقلت لنا الثلاثية بعض المظاهر الايجابية عن المجتمع التلمساني في تآزره و تماسكه في السراء و الضراء.

و- التعبير عن الهوية الوطنية فهي السمة البارزة في الثلاثية حيث نلاحظ أن محمد ديب رغم كتابته باللغة الفرنسية و تشبعه بها إلا انه متمسك بهويته وثقافته.

ز- وفي الأخير ندعو جميع الباحثين والكتاب التوجه إلى دراسة التراث، والأخذ منه ما يحي الماضي وينفع الحاضر، وينظر إلى المستقبل والتعرف على جميع التجارب الناجحة التي أخذت من تراثنا حتى يصبح لنا أدبا له خصوصيته وميزاته العريقة .

الملاحق

ملاحق

1- نبذة عن حياة الروائي محمد ديب

يعد محمد ديب روائيا و أديبا جزائريا كبيرا و كاتبا باللغة الفرنسية ، ولد بالغرب الجزائري بولاية تلمسان سنة 1920 و هو من عائلة تلمسانية حرفية و مثقفة ، عاش طفولته فقيرا ثم يتيما ، بعد أن توفي والده و هو في سن العاشرة من عمره ، لكن ذلك لم يوقف عزيمته على مواصلة دراسته بجد ، حيث تلقى تعليمه الإبتدائي هناك ثم سافر إلى مدينة "وجدة " المغربية و أتم بها دراسته الثانوية .

و لما بلغ عمره تسعة عشرة سنة اشتغل بالتعليم ثم انتقل للعمل في السكة الحديدية ثم محاسبا ، ثم مترجما بالجزائر العاصمة ، ثم تجنيده سنة 1942 م ضمن جيوش الحلفاء خلال الحرب العالمية الثانية ثم عمل مصمما للديكور ثم حرفيا ينسج الزرابي ، انتقل بعد ذلك إلى العاصمة الجزائرية سنة 1948 م ، التقى هناك بمجموعة من الكتاب الفرنسيين " ألبير كامو albert camus، و جون كارول john carol، بريس باريان bruss barian و كذلك مولود فرعون ليزداد اهتمامه بالكتابة و التأليف و منذ سنة 1950م .

بدأ العمل كصحفي و اشتغل بجريدة "الجزائر الجمهورية " رفقة الكاتب " كاتب ياسين" ثم عين أستاذا بجامعة كاليفورنيا و السربون " يعد محمد ديب أول مغربي يحصل على جائزة الفرنكوفونية من الأكاديمية الفرنسية عام 1994م تنويها بأعماله السردية و الشعرية ، كما تحصل سنة 1998م على جائزة "ملارمي" عن مجموعته الشعرية " الطفل الجائر".

عرف محمد ديب بثلاثيته الشهيرة "الدار الكبيرة "سنة 1952 م ، "الحريق" 1954م "النول" 1957م ، ثلاثية الشمال " سطوح أورسول 1985م ، إغفاء حواء 1989م ، ثلوج المرمر 1990م ، هابيل 1977م و مجموعة قصصية منها " الليلة المتوحشة 1997م و ثلاثة مسرحيات أخرها " ألف مرحى لمومس" 1980م.(1)

توفي يوم 02 ماي سنة 2003م ، بعد أن ترك لنا ثلاثون (30) عملا من روايات و، قصص قصيرة قصص للأطفال و أعمال مسرحية

محمد ديب

الدار الكبيرة
الحريق
النول

ثلاثية

دار الفارابي

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

أولا :المصادر :

1-القرآن الكريم عن رواية روش ، دار الوطن للنشر والتوزيع، ط64، 2017 مصر.

2-محمد ديب: الدار الكبيرة ، ترماسي الدروبي، دار هلال ، 1970، د ط .

3-الحريق ، ترماسي الدروبي، دار الهلال، 1970، د ط.

4-النّول ، تر: سامي الدروبي، دار الهلال ، 1970، د ط .

ثانيا :المراجع :

5- أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي (1954م-1962م) ، ج10، دار البصائر الجزائر.

6- أحمد منور ، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي ، نشأته و تطوره ، ط1 ، ديوان المطبوعات ، الجزائر ، سنة2007 .

7-إبراهيم الحيدري : أنثولوجيا الفنون التقليدية ، ط1، دار الحوار للنشر والتوزيع ، اللاذقية ، سوريا .

8-إدموند ديستان وبن حاجي سراج: بني سنوس في النصف الأول من القرن العشرين ، عناصر الثقافة الشعبية، دار الغرب للنشر والتوزيع ، وهران، 2002.

9-أسماء محمد معيكل ، الأصاله و التخريب في الرواية العربية ،رواية حيدر حيدر نموذجا ، دراسة تطبيقية ، عالم الكتب الحديث للنشر و التوزيع إربد ، الأردن ،ط1 2011.

10- التلي بن الشيخ ، دور الشعر الجزائري في الثورة ، الشركة للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1983.

11- الربيعي بن سلامة ، الحضارة العربية الإسلامية بين التأثير و التأثر ، ديوان المطبوعات الجامعية ، بن عكنون الجزائر، دط ، 2009.

12- بشير بلاح ، تاريخ الجزائر المعاصرة (1830م-1989م) ، ج2 ، دار المعرفة الجزائر ، سنة 2007.

13- بلحيا الطاهر، التلراث الشعبي في الرواية الجزائرية ، منشورات التبيين الجاحظية ، الجزائر سنة 2000 .

14- حسين مروة دراسات في المنهج الواقعي ، مؤسسة الأبحاث العربية بيروت ، دط ،دت .

15- سعد يقطين ، الكلام و الخبر ، مقدمة السرد العبي ، الدار البيضاء بيروت ، ط1 1997.

16- شريف كناعنة ، دراسات في الثقافة و التراث و الهوية ، تح : مصلح كناعنة المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية رام الله فلسطين 2011.

17- طلال معلا ، التراث الثقافي غير المادي ، تراث الشعوب الحي ، مركز دمشق للأبحاث و الدراسات سوريا ، دمشق ، العدد 2017.

18- عبد القادر الريحاوي قمم عالية في تراث الحضارة العربية الإسلامية المعمارية و الفنية ، منشورات وزارة الثقافة ، سوريا ، دمشق ، دط،2000.

19- عبد الله بن أحمد الزوزني ، شرح المعلقات السبع ، تحقيق محمد الفاضلي ، المكتبة العصرية بيروت ، ط 1 ، 1998.

20- عبد الملك مرتاض ، في نظرية الرواية ، بحث في تقنيات السرد ، سلسلة عالم المعارف ، الكويت ، شعبان ، 1988.

21- محمد خطيب ، الرواية و الواقع ، دار الحداثة ، بيروت ، ط01 ، سنة 1981.

22- محمد رياض وتار، توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة إتحاد كتاب العرب، دمشق سنة 2002م .

23- محمد عابد الجابري، التراث و الحداثة ، دراسات و مناقشات ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ط1 1991.

24- محمد قاسم ، الأدب العربي المكتوب بالفرنسية ط1، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،مصر ، سنة 1999م .

ثالثا: المعاجم و القواميس

24- ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي لسان العرب ،ج2 دار صادر بيروت ط1 سنة 1997 .

25-الجوهري ، تاج اللغة العربية الحديث ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ،ط 2 ، سنة1989 ،ج2 .

26- جبور عبد النور ، المعجم الأدبي دار العلم للملايين بيروت ط1 ، 1989 .

رابعا:المجـــلات :

27- خلاصي وليد: القصة القصيرة ، والملامح المحلية ، مجلة الآداب ، العدد الأول، دمشق، 1972.

28- رشيدي صالح ، المأثورات الشعبية و العلم المعاصر ، مجلة عالم الفكر الكويتية، عدد1 ،سنة 1972م .

29- مجد الدين محمد بن يعقوب بن محمد بن براهيم الفيروز بادي الشيرازي الشافعي ، القاموس المحيط، جريدة لوتان ، ج1 مادة التاء منشورات محمد بن بيضون ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ، سنة 1999م-1420هـ.

30- مفقودة صالح : نشأة الرواية العربية في الجزائر التأسيس و التأصيل ، مجلة المخبر ، أبحاث في اللغة و الأدب جامعة محمد خيضر بسكرة ، الجزائر ،كلية الآداب و العلوم الأجتماعية و الإنسانية ، قسم أدب عربي سنة 2008.

خامسا: الرسائل و المذكرات :

31- فتيحة عاشوري، المصالحة والتسامح عند محمد ديب بين المحلية والعلمية ، مذكرة ماجستير ، جامعة باجي مختار ، قسم اللغة العربية وآدابها، عنابة ، 2012/2011.

32- حكيمة موسود ، أبعاد توظيف التراث في الرواية الجزائرية ، رواية الرعشة لأمين زاوي نموذجا ، رسالة ماستر أكاديمي في الأدب العربي ، تخصص أدب جزائري ، جامعة محمد بوضياف المسيلة 2017 .

33 - عبد الحميد بوسماحة ، توظيف التراث الشعبي في روايات عبد الحميد بن هدوقة ، رسالة لنيل درجة الماجيستير ، جامعة الجزائر معهد الآداب و اللغات ، سنة 1991م .

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

العنوان الصفحة

شكر وعرفان

إهداء

مقدمة .....أ+ب

الفصل الأول التراث الشعبي في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية.....3-19

المبحث الأول : مقاربات في مفهوم التراث الشعبي عناصره و خصائصه 6

1- مفهوم التراث الشعبي 6

1-1 لغة.....6-7

1-2 اصطلاحا 7-8

2- عناصر التراث الشعبي.....9

2-1التراث المادي.....9

2-2 التراث المعنوي.....10

3 خصائص التراث المادي 11

3-1 تجهيل الزمان و المكان.....11

3-2 التعميم 12

3-3 القدم و العراقة 12

3-4 التواتر الشفوي 12

3-5البساطة.....12

3-6العادات و التقاليد الاجتماعية.....12

3-7 تخليد الأجداد 12
المبحث الثاني : الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية.....13
1-مفهوم الرواية 13
1-1 لغة 13
1-2 اصطلاحا 13-14
2-تاريخ ظهور الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية 15
3- أبرز أعلام الرواية الجزائرية المكتوبة ب لفرنسية 16
3-1 محمد ديب.....16
3-2مولود معمري.....16
3-3رشيد بوجدرة 16
3-4 مولود فرعون 17
3-5كاتب ياسين 17
4- توظيف التراث الشعبي في الرواية الجزائرية 18
5- دوافع التوظيف التراث الشعبي 18
5-1دوافع واقعية 18
5-2 دوافع نفسية 19
5-3 دوافع ثقافية 19
الفصل الثاني : توظيف التراث الشعبي في ثلاثية محمد ديب 20-43
تقديم الثلاثية 23
المبحث الأول : التراث الشعبي في رواية الدار الكبيرة 24

1- ملخص رواية الدار الكبيرة 24-25

2- توظيف التراث في رواية الدار الكبيرة 26

2-1 المعتقدات الشعبية 26

2-2 العادات و التقاليد 27

2-3 الحرف و المهن 28

2-4 اللباس التقليدي 29

2-5 المأكولات الشعبية..... 30-31

2-6 الأواني المنزلية 31-32

المبحث الثاني : التراث الشعبي في رواية الحريق 33

1- ملخص رواية الحريق.....33

2- توظيف التراث الشعبي في رواية الحريق 34

2-1 المعتقدات الشعبية.....34

2-2 العادات الشعبية 35

2-3 اللباس التقليدي 35

2-4 المهن و الحرف اليدوية 36

2-5 العمران.....36

2-6 المأكولات الشعبية 37

2-7 الأمثال الشعبية 37

2-8 الألغاز الشعبية 38

2-9 الألعاب الشعبية.....38

2-10 الأغنية الشعبية 38

المبحث الثالث : التراث الشعبي في رواية النول 40

1- ملخص رواية النول 40

2- توظيف التراث الشعبي في رواية النول 41

2-1 العادات و التقاليد 41

2-2 اللباس التقليدي 42

2-3 مهنة النسيج 42

2-4 المأكولات الشعبية 43

2-5الألات الموسيقية 43

2-6 الأواني التقليدية.....44

2-7 المشروبات الشعبية 44

خاتمة 46-47

ملاحق 49-50

قائمة المصادر و المراجع 52-53-54

فهرس المحتويات 56-57-58-59

ملخص البحث :

يهدف هذا البحث إلى معرفة الدوافع التي أدت بالروائي محمد ديب إلى توظيف التراث الشعبي في عمله الإبداعي و كيف وظفها ؟ للإجابة على هذا السؤال قسمت بحثي إلى فصلين نظري و تطبيقي ، فقد تناولت في الفصل النظري مفهوم التراث الشعبي لغة و اصطلاحا و عناصر التراث و خصائصه ، بعد ذلك تطرقت إلى مفهوم الرواية لغة و اصطلاحا دون أن ننسى تاريخ ظهور الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية مشيرة في ذلك إلى أبرز أعلامها (محمد ديب ، مولود فرعون ، مولود معمري....).

أما الفصل التطبيقي فتطرقت فيه إلى ملخص ثلاثية محمد ديب الشهيرة (الدار الكبيرة –الحريق –النول) ثم توظيف التراث الشعبي في الثلاثية ، و المتمثل في المعتقدات الشعبية ، العادات و التقاليد ، الألغاز الشعبية ، المأكولات الشعبية ، اللباس التقليدي ، المهن و الحرفة ، العمران ، الأواني التقليدية .و ختمت بحثي بخاتمة لأهم النتائج التي توصلت إليها .

الكلمات المفتاحية : محمد ديب ، التراث الشعبي ، التراث المادي ، التراث المعنوي ، المعتقدات الشعبية .

Research Summary :

This research aims to find out the motives that led the novelist Mohamed Deeb to employ folklore in his creative work, and how did he employ them? To answer this question, I divided my research into two theoretical and practical chapters. In the theoretical chapter, I dealt with the concept of folklore, in language and idiom, and the elements and characteristics of heritage, after that I touched upon the concept of the novel in language and convention without forgetting the history of the emergence of the Algerian novel written in French indicating that To its most prominent figures (Muhammad Deeb, Mouloud Pharaoh, Mawlid Mamari ...).

As for the applied chapter, she touched upon the summary of the famous Muhammad Deeb trilogy (Dar al-Kabira - al-Hariq - al-Nul), then the use of the folklore in the trilogy, which is represented in folk beliefs, customs and traditions, folk mysteries, popular foods, traditional dress, professions and craftsmanship, urbanism. I conclude my research with the most important findings.

Key words: Muhammad Deeb, folklore, tangible heritage, intangible heritage, folk beliefs.